

الدُّرَرُ الثَّمِينَةُ

فِي ذِكْرِ

الْمَنَاقِبِ وَالْوَقَائِعِ لِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ

مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ

تَأْلِيفَ

حَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْيَمِينِي

تَعْقِيقَ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمِيدٍ



الدِّارُ الْمَعِينَةُ

الدُّرَرُ الثَّمِينَةُ

فِي ذِكْرِ

الْمَنَاقِبِ وَالْوَقَائِعِ لِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ

مُحَمَّدِ بْنِ عَائِضٍ

تَأْلِيفَ

حَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْيَمِينِي

تَحْقِيقَ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمِيدٍ

عَلِمَ

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

المؤلف

هو الحسن بن أحمد بن عبد الله . لقبه عاكش . وينسب إلى بلده التي ولد فيها، وهي (ضمد) من قرى المخلاف السليماني ، ويبدو أنه يكره لقبه (عاكش) لذا فهو يكتب اسمه حسن بن أحمد اليمني ، على أن المنطقة كلها جزء من بلاد اليمن الواسعة . وكلما كانت منطقة إلى الجنوب فهي يمن بالنسبة إلى الحجاز وما كانت إلى الشمال فهي شام ولد المؤلف عام ١٢٢١ في ضمد في أسرة عرفت بالعلم ، ويُعدُّ أحد أجداده، وهو محمد بن علي بن عمر الضمدي من علماء القرن العاشر . كما أن أباه أحمد بن عبد الله الضمدي من مشاهير علماء المخلاف . أخذ العلم عن أبيه وعن علماء اليمن . ثم رحل إلى مكة المكرمة . وإلى صنعاء . وزبيد . وبيت الفقيه من أجل العلم فأخذه عن مشاهير علماء هذه المدن . وعني بالأدب إلى جانب الفقه . ونظم الشعر في مدح حكام بلاده . وعارض بعض الشعراء الآخرين ممن عاصروه . واشتغل بالتأليف . ومن مؤلفاته ،

- ١ - روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمي المعاني والبيان .
- ٢ - حدائق الزهر في ذكر أشياخ الدر .
- ٣ - عقود الدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر .
- ٤ - الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك .

- ٥ - نزهة الأبصار . وهو مختصر السيل الجرار .
- ٦ - الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني .
- ٧ - الذهب المسبوك في ذكر من تولى اليمن من الأمراء والملوك (مخطوط في مكتبة الحرم بمكة المكرمة) .
- ٨ - وأخيراً هذا الكتاب الذي بين أيدينا * الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمر المسلمين * .
- وعندما شبَّ كان حكم المنطقة قد آل إلى سعيد بن مسلط ثم إلى أخيه من أمه علي بن مجتل ثم كان لابن عمهما عائض بن مرعي ثم ولده محمد بن عائض . وكانت المنطقة في هذه المدة قد بلغت أوج مجدها . وأصبحت معقل الدعوة السلفية بعد سقوط الدرعية ، حيث ناصرها الأمراء وسعوا في توسيع رقعتها وعندما كان في أسمى سنوات نضجه الفكري كانت إمارة عائض بن مرعي وولده محمد لنا فقد مدحهما وخاصة محمداً الذي قدّم له أفضل شعره وأكثر قصائده . وأحبه حباً جماً لما امتاز به من صفات . وتوفي عام ١٢٨٦ ولم يدرك فاجعة حكم آل عائض بل مصيبة محمد بن عائض بالذات وقلته على يد الأتراك وكان ذلك بعد وفاته بقليل عام ١٢٨٩ هـ .



المحقق في مطور

ولد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عايض بن ثقيّل بن عبد الله بن راشد بن حميد عام ١٣٢٦ في قرية (سَبَل) . وينتمي إلى قبيلة (بنو ضبة) التي حالفت قبيلة (بنو مالك) بن عبد الله بن نصر بن الأزد حينما نزحت من مدينة (جَرَش) بعد اختفائها عن مسرح التاريخ . كما ينتمي إلى بيت عرف بالعلم والأدب .

تلقى مبادئ علومه على يد والده الذي كان إماماً لمسجد (أبها) ومدرساً فيه أيام الأمير علي بن محمد آل عائض . كما درس في مدرسة قريته . ثم نقله والده إلى مدينة (أبها) ليواصل علومه على يد بعض مشايخها وعلمائها في الدين والأدب . ثم توجه إلى (الرياض) بعد سقوط عسير . والإطاحة بحكومة آل عائض . وذلك بتوجيه من أمير (أبها) حينذاك (عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الفضلي الطائي) فاتبحت له الدراسة بتوسيع في فنون متعددة من المعارف . وبعد تزلعه بالعلم توجه إلى مدينة (بيشة) حيث عين كاتباً لإمارتها ثم وكيلاً لها . وشارك في الحملة التأديبية الأولى لتهمه عسير التي كانت بقيادة الأمير (عبد العزيز بن مساعد) . ثم عمل بإمارة

(القنفذة) . ثم انتقل بعدها إلى مدينة (نجران) مسؤولاً عن أعمال
المالية والجمارك فيها . وبعدها عاد إلى مدينة (أبها) كاتباً خاصاً
لأميرها (تركي بن أحمد السديري) . ثم رئيساً لديوان الإمارة .
واختير بعد ذلك رئيساً للبلدية . وأخيراً اعتزل العمل .

كان محباً للاطلاع مشاركاً في الكثير من فنون الأدب . وقد
حظيت الصحافة السعودية بالوفير من إنتاجه في البحث والتحقيق
والشعر . كما كان مناضلاً بقلمه عن البلاد والنود عن حياضها . واختير
ممثلاً لمنطقة عسير في مؤتمر أدباء المملكة ونال الميدالية التقديرية .
كما انتخب رئيساً لنادي أبها الأدبي . ويعكف الآن لوضع تاريخ
شامل عن المنطقة .

وقد اطلعت على مسودات تحقيق هذا الكتاب (الدر الثمين)
فسرني ذلك العمل . فشجعتني على انجازه إذ يعد في الحقيقة بداية
لتوضيح ما غمض من تاريخ هذا الجزء من الوطن الغالي .

أبها ، غرة ذي الحجة ١٣٩٨ هـ

لمحة جغرافية

عسير هي المنطقة الواقعة بين الحجاز شمالاً وبلاد اليمن جنوباً ،
وبين البحر الأحمر غرباً ونهاية السفوح الشرقية لجبال السراة في
الشرق ، وهي بهذا تشمل ثلاث مناطق ،

أ - تهامة ، وهي الأرض المنخفضة المحاذية لساحل البحر ،
وتتألف تربتها من الرمال قرب الساحل وتزداد خشونتها كلما اتجهنا
نحو الشرق وارتقينا في منحدرات الجبل . وتقطعها الأودية الكثيرة التي
تجري السيول فيها عقب الأمطار ، لذا كانت بطونها تتألف من الرمل
الناعم والطين . وتقوم فيها الزراعة إذا توفرت لها المياه أو الأمطار اللازمة
لذلك . وهي حارة . لذا كانت الحياة فيها صعبة . ويزيد في صعوبتها
كثرة الرطوبة ، ولا تتلقى هذه المنطقة إلا القليل من الأمطار .

وأشهر القبائل هذه الأجزاء من تهامة ، حلي ، العرضية ، وبيه .
ويعد مرفأ القنفذة ميناء هذه القبائل . ثم بارق ، وآل موسى ، وآل
مشول ، وآل دريب ، وآل الريش ، والمنجحة ، وتعد بلدة (محايل)
مركز هذه القبائل . ثم رجال ألمع وهم عشرة بطون هي : قيس ، وبنو
ظالم ، وبنو زيد ، وبنو قطبة ، وآل صلب ، وبنو جونة ، والعوص ،
والبنا ، وشحب . وهناك البرك ، وقنا البحر ويعد مرفأ القحمة ميناء
لهم . وأشهر مدنها (الشعين) و (رجال) . ثم هناك بنو شعبة ومدنيتهم

الدرب . وميناؤهم (الشقيق) ثم هناك مدن جيزان . وصبيا . وأبو عريش . وفي كل منها عدد من القبائل وميناؤهم جيزان .

٢ - السراة : وهي منطقة جبلية تصل في ارتفاعها إلى ٣٠٠٠ م . وتتألف صخورها من الغرانيت والصخور المتحولة . وهي تنحدر بشدة نحو تهامة . ولا يمكن ارتقاؤها من الغرب إلا عن طريق عقبات أشهرها ، تنومة . وشعار . وضلع وغيرها . . بينما تميل هذه الجبال تدريجياً نحو الشرق . ولهذا الارتفاع فهي معتدلة الجو غلبة المناخ . تعد مصايف للمنطقة كلها . كما أنها تتلقى كمية من الأمطار تصل إلى ٥٠٠ مم في العام . وتكفي لقيام الزراعة إلا أن صخورها الكثيمة يجعلها لا تخزن المياه . وإنما تجري على سطحها على شكل سيول بعضها ينحدر إلى تهامة . وبعضها الآخر يجري نحو الشرق . ولما كانت أمطارها كافية نسبياً . لذا فقد نمت فيها الأشجار الضخمة وكانت على شكل غابة في منطقة الأطوار . وهذه المنطقة وعرة الأمر الذي جعل الناس يطلقون عليها اسم عسير .

وأشهر القبائل التي تقيم في هذه المنطقة ،

١ - قبائل أبها ، وأشهر بطونها بنو مغيد . وعلكم . وبنو مالك . وربيعه ورفيدة . ومركزها مدينة أبها .

٢ - قبائل قحطان ، وحاضرتهم ظهران الجنوب وأشهر بطونهم ، شريف . وسنحان . وعبيدة . ورفيدة . وقبائل همدان ومنها ، البقوم ، التي تعود في أصولها إلى الأزد . وسبيع (سبع العزة) وتسكن

« الخُرمَة » و « رنية » و « تُزبة » و « الغفر » و « حضن » التي فيها القلعة المشهورة التي بدأ بنائها الأمير « علي بن مجتل » وأتم بناءها الأمير « عائض بن مرعي » وكانت رباطاً للبقوم . ووادعة ، والحباب ، وهاجر ، وبني جحدر (الجحادر) .

٣ - شهران وناهس ، ومركزها خميس مشيط .

٤ - يام وبنو مرة ومركزهم نجران .

٥ - صعدة ومن قبائلها همدان الجنوبية .

٦ - رجال الحجر ، وهم عدة قبائل منها بنو شهر ومركزهم النماص . وتنومة ، ثم بالأحمر وبالأسمر ، وبنو عمرو .
٧ - غامد وزهران وبالقنن وشمران وبجيلة ومنها بنو مالك وخشم السراة ، وعاصمة الإمارة الآن الباحة . ومن مدنها الظفير ، ورغدان .

٨ - منطقة بيشة وفيها عدة قبائل ، ومنها : خشم وبنو ضبة ، وبنو الحارث . وبعض من بطون النواصر وبنو أكلب ، وبنو سلول ، وبنو عامر . وبنو معاوية وبنو واهب وغيرهم .

٩ - الهضبة : وتقع في سفوح جبال السراة الشرقية ومن مدنها طريب وعرين وتثليث والصبيخة وخيبر والعين والخبراء ويعري وطلحة وبعيجاء والمضة . وتمتد مع امتداد إمارة عسير السياسية . أو مع

امتداد نفوذ قبائل عسير وتنقلهم إلى الشرق . وقد وصلت أيام آل عايض
حتى صباحاء إلى الغرب من القويمية وشملت « العبر » و « زمخ » و
« السويلة » و « منوخ » وحتى « الشقايق » شرق « رملة بني مرة » .
وهي منطقة قليلة الأمطار لذا تقوم الحياة فيها على الرعي
ومركز المنطقة كاملة إنما هي مدينة أبها .



لمحة تاريخية

أقام الأزدي في المرتفعات . وقد انتقلوا إليها بعد خراب سد مأرب . وكانت من قبل مركزاً من مراكز العمران المعروفة . وعرفوا باسم (أزدي شؤمة)^(١) . ولما كانت المنطقة وعرةً لنا فقد قامت فيها إمارات متعددة . ومن أشهرها ، (جُرَش) التي بقيت حتى جاء الاسلام . ودان سكان المنطقة به . وظهر منهم قادة وعظماء

(١) شؤمة ، وأهل البلاد يسمونها . يقولون : « شؤمة » . وهو لقب (عبد الله بن نصر بن الأزدي) الذي حلّ والقائل التي كانت معه جبل الطود الذي وقع اختيار رؤادهم عليه . وكان أول برولهم في الموقع المعروف باسم « عثان » . وهو المكان الذي يقع في سوح جبل « نهلل » الشرقية . لذا فقد عرف به (الشرقي) وفي ذلك المكان تفرعت القبائل وتكاثرت وأصبح هذا الاسم يطلق على مجموعة من الجبال تقع شمال (أبها) والتي كانت تعرف آنذاك باسم (يما) . وكان سوق تلك القبائل في الجبال المعادية للشرقي من جهة (الحديلة) وهي ، (صمو) و (الشق) ويعرف به (حض أسلم) . و (أسلم) هو (أسلم بن عمرو بن ثماله بن الأزدي) أما بقية قبائل الأزدي التي خرجت من مقرها الأول في (مأرب) بعد خراب سدّها وانتقال أهلها فقد اتجهت نحو (غمان) وتفرقت عن (شؤمة) وهي ، (بنو الهنو) ومن انضم معه من إخوانه حيث أقاموا هناك وتفرعوا وعرفوا باسم « أرد غمان » أما أرد (شؤمة) فقد انتقل قسم منهم إلى بلاد الشام . وعرفوا هناك باسم (الصائنة) سسة إلى المكان الذي خرجوا منه في بلاد عسير

أما القسم الذي بقي في عسير منهم ، (ألمع) و (الصق) و (ربيعة) و (أسلم) الذي يؤلفون أصول (بنو معبد) و (علكم) و (بنو مالك) ثم (سحان) و (غامد) و (زهران) و (رجال الحجر) و (حنعم) و (مدحج) و (بنو العارث بن كعب) وقد علب على هذه القبائل الأردنية اسم (عير)

لجأ إلى هذه المنطقة بعض أفراد الأسرة الأموية التي دالت دولتها في الشام ، ومنهم من ينتمي إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . لذا فقد عرفوا فيما بعد باسم (آل يزيد) . وقد استطاع أحدهم وهو (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد) أن يتسلم زعامة المنطقة ، وأن يؤسس أسرة بقيت تسيّر شؤون عسير حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري . وهو الذي جاء من الشام (١) .

هذا ما يقوله العنطلي أما غيره فيقول ، إن الأرد بعد حراب من حارب قد برلت على ماء يعرف به (عسان) في وادي (رمع) في منطقة (زبيد) في اليمن والذي يجري على السوح القريبة من السراة ، ويرقد وادي (زبيد) الذي يعصى إلى البحر الأحمر . ويرد العنطلي على هذا فيقول ، إن الأرد قد اتجهوا من الجنوب إلى الشمال وليس من الشرق إلى الغرب و وادي (رمع) يقع إلى الغرب من (مأرب) . وهم لم يتجهوا إلى الغرب أبداً ويقول بعضهم ، إن العناسة قد عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى الماء الذي برلوا به في حوران من بلاد الشام . ويعرف باسم « عسان » أيضاً

(١) ومن أولاده الذين برروا في المنطقة . وكان لهم مع من جاورهم الكثير من الجولات (خالد بن عبد الله بن علي بن محمد) الذي وقف بقواته من قبائل الأرد (عسير) . ومن انضم معهم من قبائل (الحارث بن كعب) و (بني هلال) و (بني مذحج) (عبيدة) و (بام) و (حمير) و (شهران) و (ناهس) و (مسه) بقيادة أميره علي (جرش) (عبد الله بن الأحمر الجرشى) لقد وقفوا بجانب (الهيصم بن عبد الرحمن الهمداني) الذي انضمت معه معظم قبائل اليمن . وثار على الحليفة العباسي هارون الرشيد عام ١٨٩ هـ واستصر وحليفه الأمير خالد على القوات العباسية في (بيشة) وجاءت لها قوة كبيرة تدعمها بإمرة (حماد البربري) حيث انتصر على قوات (الهيصم) و (خالد) ولاحقهم فتحص (الهيصم) في (جرش) فألقى القبض عليه . وأرسل إلى بغداد . فقتل هناك ومن معه . وتحص (خالد) في (الرهوة) بـ (المسني) حيث قتل بعد مدة وحرّبت (الرهوة) ونقل (عبد الله بن الأحمر الجرشى) أميراً على بلاد (عامد) و (زهران) . وكان من سلته عشيرة (الحمران) بـ (عامد) . ومنه عرفت منطقة (بلجرشي) وتعني (ابن الجرشى)

كما اشتهر من أحفاد (علي بن محمد) الأمير (علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن

كما انتقل إلى المنطقة بعض الأشراف في مكة واستقروا في تهامة .

== جالد) الذي تمكن من دحر قوات (يحيى بن حميد القاسمي) الملقب بالهادي . والذي كان مقره (صعدة) والذي منذ عودته إلى (بحران) و (تثليث) و (سحان) و (بيته) وصمها إليه إلا أنه هزم أمام قوات (علي بن محمد) في المعارك الطاحنة التي دارت بين العريقيين في بلدة (الحصن) و بلدة (الأبرق) في أسفل وادي (بحران) . ودمرت هاتان البلدتان عام ٢٩٨ هـ من قبل قوات (علي بن محمد)

ومن أحفاد (علي بن محمد) الأمير (سعيد بن هشام بن علي بن محمد) الذي دحر (القاسم بن علي بن عبد الله القاسمي) عام ٣٨٩ هـ بعد أن وصل إلى (بيته) . وأحرق محلها . واتحد من (تنالة) مقراً للدعوة (الريدية) فتمكن (سعيد بن هشام) من طرد القوات الريدية من (تنالة) و (بيته) و (ربه) . وأثناء تفهته الزيديين قطعت الطريق عليهم قبائل (يام) و (العارث بن كعب) الأمر الذي جعلهم يلجؤون إلى بلاد (سو سعيان) من (حاشد) حيث استقروا فيها . وبشروا دعوتهم

ومن أحفاد (علي بن محمد) الأمير (محمد بن علي بن سعيد بن هشام) الذي وقف بقواته في وجه القرامطة حينما حاولوا دخول عسير بعد أن تمكنوا من احتلال (بيته) و (تثليث) و وادي (النواصر) و (بحران) و (سحان) و (صعدة) فتقدمت إليها قوات الأمير (محمد بن علي) وتمكنت من إحلالها عن هذه المناطق بعد أن ألحقت بها الهزيمة في (بيته) . فمرّ امرأطة إلى أبيس حيث لجأ معظم جيشهم إلى (صعدة) . ومنها دخلوا اليمن عام ٤٥٢ هـ

ومن أحفاد (علي بن محمد) الأمير (سليمان بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام) الذي وقف في وجه قبائل (المر) عام ٥٥١ هـ عندما حاولت احتلال عسير بعد أن جاءت من (مكة المكرمة) و (جد) ووصلت إلى بلاد (عامد) و (شو شهر) وتوغلوا في بلاد عسير . فأوقعهم قوات الأمير (سليمان) واستطاعت أسر أكثرهم ولجأت بقيتهم إلى اليمن

وقد دون هذه الأحداث مؤرخ المنطقة العلامة (عبد الله بن سليمان بن عباس القاسمي) الذي ينتمي إلى آل قاسم - عليكم) . والعلامة (موسى بن حمير الحمطي) وآل الحمطي أسرة عريقة في العلم والأدب . جاء جذهم الأعلى (موسى بن جثم الحميلي) من (بيت العقي) قرب (زبيد) وانتقل مع أسرته إلى عسير بعد سقوط الدولة الطاهرية ودخول المال بك اليمن وانتشار الموصي وعدم الاستقرار في تلك الجهات . وبرلوا على أمير (حلي) من آل عطية المؤيبيين . ونقوا هناك حتى أحل الأمير (سالم بن عبد الله بن إبراهيم) الحد الأعلى للأمير (عائص بن مرعي) (حلي) في أواخر القرن العاشر الهجري . وصمها إلى عسير فانتقل (موسى بن جثم) وولده ==

وتركزوا حول (أبي عريش) وفي المخلاف السليماني كله . وبرزوا بين مشايخ القبائل لمقاومة العثمانيين في مطلع القرن الحادي عشر الهجري . واتخذ هؤلاء الأشراف في (أبي عريش) مدينتهم قاعدة لحكمهم . وحررت حروب بينهم وبين جيرانهم من الأمراء .

ولما كانت المنطقة وعرة . والمواصلات فيها صعبة لذا فقد انعزلت عن إمارات الحجاز واليمن . وبقيت إمارة محلية هي إمارة (آل يزيد) . ويتبعها عدد من مشايخ القبائل . حتى ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتوجه عدد من رجالات المنطقة إلى (الدرعية) ينهلون من العلم . ومنهم . محمد بن عامر المتحمي الرقيدي . وأخوه عبد الوهاب . وشار بن عرار . ومشيط بن سالم . ومحمد بن سليم

« (أحمد) و (محمد) إلى (السقا) ليكونوا بجانب الأمير (سالم) وبعد مدة انتقل (محمد بن موسى بن جثم) إلى (رجال) في موقع يسمى (حفظ) فبست أسرته إليه . وهنا ما وضعه المؤرخ (موسى بن جعفر الحنفطي) « وخرج من هذه الأسرة عدد من العلماء والأدباء والشراء . وكانت لهم مكانة علمية أفادت المنطقة

وحصل الأمير (تركي الديري) والأمير (تركي بن ماضي) على نسخ من هديس المخطوطين . ولا تزال لديهما . وسلم الأصل من مخطوط القاسمي إلى الشيخ (عبد الله بن يوسف الوابل) وكتب الأمير (تركي بن ماضي) موجزاً عن تاريخ هذه المنطقة وهيئة للطباعة . ولكن وفاته - رحمه الله - حالت دون ذلك .

وقد تعرضت المنطقة عام ٩١٩ لغزو المماليك الذين يسميهم أهل البلاد (الفز) . وقد خربوا في هذه الغزوات بلدة (الجهوة) التي اعتصم فيها الأمير (علي بن وهلي بن حرب) الجعد الأعلى للأمير (عائض بن مرعي) . كما هُتمت معظم قرى غير . وقلعة (حزام) قاعدة عمال الأمير (مقر بن حنان) الواقعة بأعلى (دلقان) بـ (الثربة) والتي اتعدها مركزاً له بعد تهريب (تجرش) واقطاعها لـ (ربيعة) وانتصر المماليك بالدافع التي يملكونها على حين لم يعرفها أهل غير بعد . وقد قاوموهم بأسلحتهم العادية . وانتصروا عليهم في النهاية . وأجلوهم عن السراة عن طريق عتبة (ضلع) و (ساقين)

وغيرهم . وبرر منهم محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب (أبو نقطة) . وأوكلت الدعوة في نجد إليهما إمارة منطقة عسير . واستطاعت جموعهم مع من انضم إليهم من نجد بقيادة (ابن الربيع) الدوسري . و (سالم بن شكبان) قتل الأمير اليزيدي محمد بن أحمد وتسلم المنطقة عنوة .

لم تطل إمارة آل المتحمي على عسير أكثر من ثماني عشرة سنة (١٣١٥ - ١٣٣٣) في ظل الحكم السعودي حيث برز بعض أبناء (آل يزيد) في الدعوة السلفية . واستطاعوا قيادتها . ومقاومة جيوش والي مصر (محمد علي باشا) والأتراك من خلفه . الأمر الذي جعل الإمارة تعود إليهم . فحكم سعيد بن مسلط (١٢٣٣ - ١٢٤٢) . وخلفه أخوه لأمه علي بن مجثل . واستمر سبع سنوات (١٢٤٢ - ١٢٤٩) استطاع خلالها طرد الأتراك من المنطقة كلها . ووصلت إمارته إلى أقصى اتساع لها إذ وصلت إلى أطراف الطائف في الشمال . وجهات عدن في الجنوب . كما ضمت أجزاء واسعة من تهامة في الغرب . والهضبة في الشرق . وعندما حانت وفاته أوصى لعائض بن مرعي بالإمارة والإمامة لما اتصف به من تقوى وخلق وشجاعة وحزم . فحافظ على الإمارة بل ضم إليها أجزاء في جهات الشرق حتى وصلت إلى صبحاء في غرب القويعية . ولما مات اختار عدداً من أهل العلم والتقوى ليكونوا كمجلس شورى لتعيين الأمير على المنطقة . ولم يقبل أن يعهد لأحد من أبنائه ^(١) . فعين مجلس الشورى علي بن عائض إماماً وأميراً . ولكنه تنازل لأخيه محمد فوافق

(١) أحب الأمير عائض بن مرعي تسعة أولاد وهم : علي ومحمد وباسم وسعيد .

وعبد الرحمن وسعد وعبد الله ويحيى وأحمد

مجلس الشورى على ذلك . فقاد محمد الإمارة بحزم وشجاعة جعل
الامراء من جيرانه والولاة من قبل العثمانيين ، والأشراف يهابونه . . .
حتى اجتمعت كلمتهم عليه وكانت نهايته عام ١٢٨٩ هـ .

وفي عهد إمارة عائض بن مرعي وانه محمد عاش المؤلف . وقد
وصع الكتب والمؤلفات في إمارتيهما كما نظم القصائد في مدحهما . وهذا
الكتاب أحد المؤلفات له وهو خاص بالأمير محمد بن عائض .

وقد شجعني على هذا البحث علامتا الجزيرة ، الشيخ حمد
الجباسر - خريّت المنطقة - الذي قدّم للأجيال خدمات في المعرفة
الجغرافية والتاريخية . وأديب نجد وابن بجدة عبد الله بن
محمد بن خميس الذي بذل جهداً خيراً لتوضيح الطريق أمام
السالكين . فكانا لي قدوة في العمل . وكان لا بدّ لي من أن ألبّي
نداءهما في بذل ما أستطيع بذله لإجلاء ما خفي من تاريخ منطقتي
ومعالمها .

وقد بدأت بهذا الموضوع راحياً من الله التوفيق وسداد الخطأ

عبد الله بن علي بن حميد

= كما أنجب ثلاث بنات من حليلة وعائشة وصالحة
ولم يعقب من أولاده سوى محمد وعبد الرحمن
أمّا محمد فقد حصر نسبه في ولده عبد الله الذي أنجب سعيداً . وعائصاً . وحسناً والسر

فيهم

وأما عبد الرحمن فقد حصر نسبه في أولاده ، محمد وعائص وعبد الله فقد أنجب
محمد حسناً ، وأنجب الحسن يحيى والسر مه الاى وأنجب عائص محمداً ، وعبد العزيز
والسر مه الاى وأنجب عبد الله عبد الرحمن والسر مه الاى

الدُّرَرُ الثَّمِينَةُ

فِي ذِكْرِ

الْمَنَاقِبِ وَالْوَقَائِعِ لِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ

مُحَمَّدِ بْنِ عَائِضٍ

تَأَلَّفَ

بِفَقِيرٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

حَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْيَمِينِي (الْعَاشِي)

الْمُتَوَفَّى عَامَ ١٢٨٦ هـ

مقدمة المؤلف

الحمد لله ذي الملك والملكوت والعزّ والجبروت . يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . ويعزّ من يشاء ويدلّ من يشاء بيده الحير . وهو على كل شيء قدير . صلى الله وسلم على من اصطفاه من أشرف العالم . وفضّله على ولد آدم . وأنزل عليه في كتابه المبين « نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين »^(١) . صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأنصار والمهاجرين . صلاة أبلغ بها الغايات من رضوانه والمزيد من إحسانه . وبعد ، فإن علم التاريخ فضله جمّ . يشترك في الإقرار بفضله وحسن وضعه من خصّ وعمّ والله درّ الشاعر حيث قال :

ليس بإنسان ولا عالم من لم يع الأخبار في صدره
ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً إلى عمره

هذا مع أن كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مشحون بأخبار الأمم السالفة الماضية والقرون الذاهبة الخالية . وقد قيل في تفسير قوله تعالى : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »^(٢) إن المراد بالسير في الأرض هو العلم بالتاريخ . وقال عزّ من قائل : « إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا

(١) الآية ٢ من سورة يوسف

(٢) سورة الروم الآية ٩

وأثارهم . وكل شيء أحصيناه في إمام ميين ^(١) . وقال تعالى : « كذلك بقص عليك من أنباء ما قد سلف ^(٢) وقد اتيساك من لدنا ذكراً ^(٣) . ثم إن أولى ما يعتمد أولو الأمر وأصحاب الزمان ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان . وأوجب ما يتشغل به من إليهم أزمة الأمور وعليهم سياسة الجمهور إدمان الطر في كتب السير والتتبع للأخبار والآثار . والتفكير في أحوال من مضى من الأخيار والأشرار ليعلم ما أبقاه المحسن من الصيت الحميد الذي صار له حياة خالدة بالأحر الذي اكتسبه وللمسيء من الذكر القبيح الذي جعل صحيفته مسودة بالوزر الذي احتقه ^(٤) »

وتصفحوا حال الحازم في حرمه وعقله والمصيع في تعريطه وحمله فيلکوا من الطريق أوضحها وأمثلها ويتبعوا من الخلائق أشرفها وأفضلها ويردوا من المشارب أصفها وأعدها ويرتعدوا من المراعي أطيبها ويأخذوا من الأمور بأحزمها ومن التجارب بأحكمها : فمهما ^(٥) يكن من حسنة اقتسوا منها . ومهما ^(٦) يكن من سيئة ارتدعوا عنها . فالسعيد من انتفع بالأدب فيما دأب فيه غيره من التجارب والرابع من حظي بالراحة فيما تعب فيه سواد من المطالب لأن العقل غريزة الإنسان . والتجارب مكتسبة في الزمان . والرأي لقاح العقل والتجربة نتاجه . والخير مقصد الحما والاحتشاد منهاجه . فإذا تأمل المرء سير الماضين من الأقوام حتى

(١) سورة نر الآية ٢

(٢) الصحيح (ما قد سبق)

(٣) سورة طه الآية ٩٩

(٤) احتقه يحق به وقد حرص الكاتب عن الجمع لدا استعمال هذا اللفظ

(٥) فمهما . مما

(٦) ومهما . وم

مع تقارب الشهور والأيام . جنى ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والأعوام . وعرف علل الأحوال وفوائدها . وحيل الرجال ومكائدها . وتسلى بمن تدرع الجلد عند حلول النوائب . وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور المعائب . وأحب^(١) المذاكرة وأنس المحادثة والمسامرة . حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، من علم التاريخ زاد عقله . وقد سبق إلى الاعتناء بعلم التاريخ أكابر الأئمة وأفاضل علماء الأمة . وأثنوا على من سلك ذلك المنهج بما لا مزيد عليه . وصرحوا بأنه من المهمات النافعة في الدين والدنيا . وعولوا على من حرص على الفوص في بحار تدقيقه . وأشاروا بالبنان إليه إذ به يعرف الحديث من القديم . ويتميز الصحيح من الأخبار عن السقيم . فكم من قضية أشكلت على كبار العلماء المحققين وسجى ظلامها . فلم يكشفه إلا أنوار حقائق الأخبار من المدققين . كما يعرف ذلك من مارس الأخبار من الأسفار واطلع من كتب التاريخ على خبايا الأسرار . وكفى بقضية يهود خيسر ودعواهم أن النبي ﷺ أسقط عنهم الجزية . وإسرازم منشوراً بذلك فيه شهادة جماعة من أجلاء الصحابة حتى كاد الخليفة في ذلك العصر أن يميل إلى تصديقهم ركوناً إلى ذلك السجل حتى بين فضيحتهم العلامة الحافظ أبو بكر المعروف بالخطيب مما اقتبسه من نور التاريخ الجليل . والقضية مشهورة . وفي دفاتر التاريخ ماثورة . وقد دفعني ذلك إلى اقتناء آثار أولئك الأعلام برقم ما استطعت رقمه من حوادث هذا الزمن ووقائمه العظام قصداً لتنبيه الغافل على الاعتبار وإرادة لإفادة من يريد الاطلاع

(١) أحب ، سقطت في النص وسدو أن ذلك أثناء الكتابة

على ما جرت به أيدي الأقضية والأقدار بهذه الدار . هذا وقد جعلت
ما جمعته مختصاً بالمتفقات في أيام الإمام العادل حامى حمى الإسلام .
والعزة الباذخة في جبين الأيام عز الإسلام (محمد بن عائض) عاقاه
الله تعالى . ورقمت طرفاً يسيراً مما سلف في أيام والده الأمير عائض بن
مرعى رحمه الله تعالى أمين .

وقد قيّدت ما اطلعت عليه بحسب الطاقة والإمكان . فالمطلوب
ممن اطلع على ما رقمته من الإخوان ستر الخلل . وإصلاح الزلل . على
أنه لا يسلم منهما إلا كلام من عز وجل . والا فغيره على وجل . وأنا
أسأل الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمور أن يتجاوز عني كل خطأ
مستور وعلى صفحات هذه الأوراق مسطور . وأن يكف عني أكف
الحاسدين وشر المعاندين إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير . وهو
نعم المولى ونعم النصير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



الأمير محمد بن عائض

هو الإمام المجاهد . ممتطي صهوات المخاطر والشدائد . حاوي
المفاخر والمحامد . محمد بن عائض بن مرعي حفظه الله . أسامي^(١) لم
تزده معرفة . وإنما لذة ذكرناها . هو ماجد أعز الله سبحانه وتعالى
بقيامه المسلمين . وظهر في أيامه شعار الدين . همام ناطح بهيمته
الثريا . وبلغ بها أعلا^(٢) المفاخر التي لسواه لا تنهياً . شجاع تنقي
الأسود الضواري بطشاته . ويتجنب الشجعان في يوم النزال ملاقاته .
بطل كم جندل في يوم الوغى من أبطال . وكم عذى بدم الأعادي
المشرفية والرماح السمرية الطوال . تراه لشدة بأسه عند اصطدام
الحوادث . وإظلال سوادها الكارث^(٣) . ووجهه وضّاح . وثغره باسم غير
مقهيّب لذاك الفادح لأحد من العوالم . مقدم قدمته على أعيان الزمن
أفعاله تقديم بسم الله في المصاحف . شهيم كم هزم^(٤) إلى المعاندين له من
جيش حامل للمنية زاحف . كريم يقصر عن كرمه متراكم الغمام إذ
ينهمر . سميدع يهب الآلاف مبتدئاً . فيستقل عطاياهم ويعتذر . قد
استولى على الفصل استيلاء الأهلة على المنازل . وحاز الفخار ففاق بذلك
الأواخر وبرز على الأوائل . سليم دواعي الصدر . طاهر السريرة إلى

(١) أسامي . الأسماء والألقاب

(٢) أعلا . أعلى

(٣) الكارث . المني . والشد على

(٤) هزم . ناقصة من المحطوط

لطف أخلاق تعلم من رقتها النسيم . ولطافة طبع إذا تكلم في الأدب حير
 النديم . حبير بالمحاضرة في المحافل والمجالس . لا يمل حديثه إذا ذكر
 فهو دائم الا بتسام غير عابس . وأما حلمه فما لقيس^(١) من استطالة فضله
 عليه عاصم . وما أحسب المذنب إلا يتقرب إليه بالذنب القاصم . وأما
 أراؤه فقد احتوت على زهرات النجع وثمراته . ورشت على الصلاح ماء
 الخطب حتى أطفأت من جمراته . وأما ما يتبع ذلك من سداد سياساته
 الملكية ونفاذ قضيته اللودعية^(٢) فما أظن العصا قرعت لذي الحلم إلا
 تهديداً بوجوده . وما أظن الزمان كف عن معاداة أهل الكمال في زمانه
 إلا خوفاً من إقامة حدوده

بحر تجاوز حد المدح من شرف	كالصبح لا غرة تحكي ولا رتم ^(٣)
مجرد العزم للعليا إذا عجزت	عنه السراة وقالوا إنها غرم
يمضي الزمان ولا فاقت يديه يد	سعيًا إلى المجد لا زلت به القدم
رمى الأقاصي حتى حازها ومضى	تبارك الله ماذا تبلغ الهمم
لا يطرب المحل إلا صوب نائله	ولا تحول على أفكاره الديم ^(٤)
في كل يوم ينادي من مكارمه	هذا إمام الندى لا ما ادعى هرم ^(٥)
يحم حماه ودافع كل معضلة	بهيئة الحزم تعلم أنها حرم
حاطت عزائمه الإسلام جاهدة	حتى تغاير فيها العلم والعلم

(١) لقيس . يعصده به الأحف بن فيس سيد بني تميم المشهور بالعلم

(٢) اللودعية . المعنة . والأمل . اللودعي اللان المصيح

(٣) رتم . حاص مكسر الألف

(٤) الدم . الأسمرار

(٥) هرم . هو هرم بن سنان القتي يمدحه رهير بن أبي سلمى بالكرم وقد حصه

بذلك

لو أن للدهر جزءاً^(١) من محاسنه لم يبق في الدهر لا ظلم ولا ظلم
قالت أياديه للحساد عن كسب ما أقرب العز إلا أنه همم
فما أناف^(٢) به للمجد أن له عزماً يرى فرص الأيام تفتنم

ميلاده - أطال الله تعالى بقاءه وكنت أعداءه وحساده - شهر
جمادى الأولى ١٢٥١ . نشأ على الطهارة والعفاف . وتربى في حجر والده
الأمير الشهير ذي القدر الخطير . عائض بن مرعي رحمه الله تعالى .
ولازمه في سن الحداثة حضراً وسفراً . واكتسب من أخلاقه ومكارمه
ما فاق به الأمثال والنظراً^(٣) . ولما بلغ درجة الكمال فما ترك ذروة من
المجد إلا صعداها . ولا صهوة للفخر إلا اقتعداها . ولا أبدة من المعاني إلا
تصدى لها وتصيداها . ولا سامية من المكارم إلا علاها . ولا سائبة من
المحامد إلا وصلها وحماها . فالله يمنع الإسلام بوحوده . ويتابع عليه
النصر والظفر ويقمع كل أضداده وحسوده *

أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آميناً

لمحة من حياة والده : ومن قيام والده بالإمارة في عام ١٢٤٩ بعد
وفاة الأمير علي بن مجتل^(٤) وكان هذا الأمير فيه شجاعة وإقدام .

(١) جزءاً ، هكذا جاءت الصحيح جزءاً .

(٢) أناف ، راد عليه .

(٣) النظراً ، الصحيح الظر .

(٤) علي بن مجتل بن مسفر بن محي بن عواض ، تزوج جد أبيه محي بن عواض
بترابة بنت عبد الرحمن الجد العاص للأمير عائض بن مرعي . فجاء منها مسفر الذي نسب إلى
جده لأمه . وحلف مسفر ولدين هما ، مسلط ومجتل . وتزوج مسلط بعمة الأمير عائض بن مرعي
وهي عائشة بنت محمد فأنجبت منه سميماً . وتوفي مسلط عنها . فقتله عليها مجتل فأنجبت له
علياً الأمير المذكور . وعرفت أسرته بعد ذلك بـ (آل ترابة) .

ولاحظته السعادة في النقض والإبرام . وما توجه إلى بلد إلا وحصلت له
الفتوح . واستطالت يده إلى تخوم الطائف^(١) . واقتتح اليمن بمن معه .
واستولى على المخا^(٢) وتلك الجهات . وجرت بينه وبين الأشراف وغيرهم
من الأتراك حروب كانت العاقبة له . وكانت مدة مملكته تسع سنين .
فسبحان من لا يزول ملكه . وكان فيما أوصى به فيما بلغني بالإمارة
للأمير عائض بن مرعي^(٣) لما يعلم فيه من الحزم والبسالة وحسن السياسة
والنبالة . فالتفت إلى ضبط المملكة بجأش ثابت . وقدم أرسخ من الجبال
الثوابت . يخضع لسطوته كل معاند . وتزهو باسمه الصكوك في جميع
المقاصد . وهذا كله بعدما وقع بينه وبين الأتراك من الملاحم الكبار .
التي تسك المسامع وتعمي الأبصار . فحمى حمى بلاده . وأعاناه الله
تعالى على القيام بمراده . وأذاق أولئك في حروبهم معه السم الزعاف .
ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهرق .

وما تقرّ سيوف في ممالكها حتى تقلقل دهرأ منه في القلل

(١) الطائف ، مدينة هي مصيف أهل مكة بينهما ٨٠ كيلا إلى الجنوب الشرقي منها

(٢) المخا ، مرفأ يمار على ساحل البحر الأحمر قريب من مضيق باب المندب بينهما ٩٠

كيلا

(٣) الأمير عائض بن مرعي ، تولى الإمارة ولم يتجاوز من العمر ٣٦ عاماً . ولد يتيماً إذ
كان أبوه قد قتل عام ١٢١٣ في بيثة في محاولة رد القوات السعودية عن عير . وعاش في رعاية
ابن عمه أمير عير آنذاك وهو محمد بن أحمد بن محمد . وكان مع إخوته يحيى وخالد . فلما
قتل ابن عمهم عام ١٢١٥ على يد القوات السعودية نعموا انتقلوا إلى كعالة سعيد بن مسلط أمير
عير من عام ١٢٢٣ . ١٢٤٢ هـ . وتسلم الإمارة بعده علي بن مجثل

وجرت بينه وبين الشريف علي بن حيدر^(١) وقائع . وبعد ذلك وضعت الحرب أوزارها وكمنت مدة من السنين نازها . ولما استقر الشريف الحسين بن علي بن حيدر في الإمارة بعد وفاة والده . وكانت وفاته سنة ١٢٥٤ . وكان إذ ذاك متولي اليمن من طريق صاحب مصر إبراهيم باشا^(٢) . وكان استمداد ولاية الشريف الحسين من طريقه وبعد ذلك ظهر له من الباشا المباينة . وكان يتربص لإنزال الضرر بالشريف المذكور الدوائر^(٣) . ويود أن يلحقه بالأمس الدابر. فرأى أن لا طريق له غير مصاحبة الأمير عائض واتصال حبله بحبله . إذ هو في بحر من رجال الإسلام . وممن يركن بهم عند حوادث الأيام. فأرسل إلى حضرة الأمير بعض أعيان السادة ليصلح بينه وبين الشريف الحسين الشأن . ويطلب منه الإعانة على إخراج الترك من اليمن . ويحثه على اجتماع كلمة العرب لدفع تلك المحن . فتمّ بينهم الكلام على أن الأمير يرسل طائفة من المسلمين لإعانتته والقيام بنصرته . وما وصلوا إلى أبي عريش إلا وقد وصل من والي مصر الارتفاع^(٤) لبراهيم باشا من اليمن . ولكنه اصطحبهم معه^(٥) . وكانوا له من الأعوان وليس معه من الأجناد غيرهم .

(١) الشريف علي بن حيدر ، كان أمير أبي عريش . وأسرته قد حكمت هذه المنطقة مدة من الزمن . وأبو عريش مدينة قرب جيزان تمتد عنها ٢٥ كيلاً إلى الداخل

(٢) كان صاحب مصر محمد علي باشا وليس إبراهيم باشا وإنما كان إبراهيم بن محمد علي وهو قائد الجيوش والمعارك وقد توفي قبل والده بعام ١٢٦٣ هـ .

(٣) الدوائر ، كلمة زائدة . وصحت للسجع تأكيداً للمصدر .

(٤) الارتفاع ، الأوامر بالاسحاب .

(٥) اصطحبهم معه ، أي اصطحب الشريف الحسين معه الجند الذين أرسلهم الأمير عائض إليه . ولم يكن معه سواهم .

وافتح اليمن ، واستقر بالمخامدة ، وبعد رجوعه إلى أبي عريش وقعت
المفاوضة بينه وبين الأمير عائض بالسنة الأقالام في مكاب يكون به
الاجتماع لتأكيد ما سلف من الصلح في تلك الأيام . فتم الكلام على أن
يكون اللقاء في وادي (بيض)^(١) فنهض الشريف الحسين من أبي
عريش ثامن شهر شوال ١٢٥٧ . وانفصل الأمير من بلاده هو ومن معه من
أجناده . ودار بينهما حديث الوفاق وهياً الله من أسباب الصلاح .
ونادى منادي الظفر بينهما بحمي على الفلاح . وصرخوا مينهم في ذلك
الاجتماع القواعد الأكيدة . وأيدوها بالمواثيق والعهود الشديدة . وذلك
على تسليم دراهم للأمير معلومة في كل عام . وتراسلوا بهدايا فيها كل
شيء نفيس في ذلك المقام . وبعد ذلك توجه كل منهم إلى جهته وقد أمن
جميع من في تهامة . وخلصوا عنهم ثياب الخوف . ولبسوا أثواب السلامة .
وصفيت البلاد من الأنكاد . وسلك الناس من الأمن في كل واد . واستمر
ذلك الأمر على تسليم ما وقع عليه الصلح من الدراهم حتى دخلت سنة
١٢٦٣ . وانقطع تسليم المعلوم من الشريف . ولم يزل الأمير يلاحق في
ذلك . ويعتذر منه الشريف بعدم محصول البلاد . وعدم قيامها مع
ما وقع فيها بشيء من الامداد . فيقبل الأمير في الظاهر العذر عملاً بقول
القائل :

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن برّ عندك فيما قال أو فجراً
فقد أجلك من يرضيك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا

(١) وادي بيض ، وإد من أودية تهامة تساق مياهه من السروات نحو البحر الأحمر .

ويلتقي بوادي (سرة) عند قرية (الشرفاء) من قرى (ال حدرة)

ولما قامت قيامة محمد بن يحيى الإمام صاحب صنعاء بواسطة الشيخ علي بن حميدة^(١) وانتهى الأمر أن استولى على جميع أقطار اليمن بعد أن وقع بينه وبين الشريف الحسين قتال كانت الدائرة فيه على الشريف . ووقع فيه ضرب رصاصة في فخذه الأيسر عدم منها استقراره على ركاب الحصان . وانتهت الهزيمة إلى قرية (القطيع) فانحاز في قلعة مع جماعة من (ذو محمد) وطائفة من عشيرته الأشراف . وآل الأمر بعد محاصرة إلى أسر الشريف . وفي أثناء ذلك في شهر جمادى الأولى ١٢٦٤ هـ انفصل الأمير عائض من السراة لقصد نصرة الشريف . وصحبه من المسلمين جند كثير . وما وصل إلى أطراف تهامة إلا وقد بلغه خروج الشريف من الأسر بواسطة أبناء أخيه أفخر . ومحمد . وعلي . وسلموا في ذلك مالا جزيلًا لمن هم في أسرهم من العسكر . وكان في المدينة العريشية الشريف حيدر والشيخ حسين بن علي مجلي وهما في هذه الملاد نواب للشريف الحسين . ومع استقرار الأمير في (مسلية)^(٢) انفصل الشريف حيدر بن علي من (أبي عريش) بعد أن وصله^(٣) من الشريف الحسن بن محمد والمكارمه رؤساء حند (يام)^(٤) ما به الموافقة

(١) علي بن حميدة ، كان عاملًا لعلي بن مجتل على (المخا) . وانحاز إلى محمد بن يحيى ضد الشريف الحسين بن علي الحيدري . وبعدها رجع عاملًا لعائض بن مرعي على (صعدة) بعد حركة محمد بن يحيى وقتله من قبل الأتراك

(٢) مسلية ، قرية من قرى وادي (بيش) .

(٣) وصله . الأصل وصل إليه

(٤) يام : قبيلة كبيرة في نجران .

على ما يريده الأمير . وتم الكلام على تسليم قلعة (صيبا)^(١) إليه والمخلاف مقابل ما له من الحقوق المعتادة في البلاد . وعند وصوله إلى مدينة صيبا وتصلح أحوالها توجه إلى السراة بعد أن انتقضت له المآرب . وتم له ما يريد من المطالب . واستقر في بلاد مملكته . أحكامه نافذة في أقطار بلاده بالسراء . وقد ساس الرعايا بحكم الشريعة المطهرة في الإصدار والإيراد . وما زال على هذا الحال حتى دخلت سنة ١٢٧٢ وهي السنة التي توفي فيها الشريف الحسين بن علي بن حيدر . وبعد موته وقع تجاذب أطراف المخلاف بين الشريفين الحسن بن محمد . والحسن بن الحسين كل واحد منهما يريد أن يستقل بالإمارة . وكل منهما انحاز في قلعته . ولم يزل الشر يتزايد حتى افترق أهل المدينة العريشية إلى فريقين ، فريق إلى الحسن بن الحسين ، وفريق إلى الحسن بن محمد . وتأهبوا لإيقاظ نائم الفتنة . وكل منهما يريد أن يستقي من ناواه كأس المحنة . وطالت مدة الحرب بينهم نحو ثلاثة أشهر . ولكن وفق الله تعالى الأمير عائض إلى النظر في هذه المتفقات لما علم ما جرى من الخراب في هذه الجهات . واستبيحت المدينة العريشية . وأجلى أكثر أهلها منها . فحشد الجنود للنزول إلى تهامة مع أن كلا من الشريفين يكاتبه في الاستعانة به . وهو غير راضٍ عن شيء من ذلك . فانفصل من بلاد السراة يوم الخميس ثاني غرة شهر جمادى الأولى من هذا العام بجنود تملأ الفضاء . وكان وصوله إلى (صيبا) عاشر

(١) صيبا . وهي مدينة من مدن جيران تقع إلى الشمال الشرقي منها . وتبعد عنها ٣٥ كيلاً . وأصبحت هذه المدينة فيما بعد قاعدة الإدريسي الذي حكم جرماً من تهامة .

الشهر المذكور في أبهة تملأ الميون . وشارة حسنة لم ير مثلها المبصرون .
وأقام في صبيها ثلاثة أيام . وفي أثناء ذلك وصله الأشراف حيدر .
والحسن بن محمد . والحسن بن الحسين . وسلموا إليه القيادة . وبذلوا
له البيعة على حسب المراد . وألزمهم بتفريغ قلاع المدينة العريشية .
ووصل إليها بعد ذلك يوم الأربعاء خامس عشر من الشهر المذكور . وقدم
بعد أن طرح في الخضراء نحو ستمائة رجل من الجند لترتيب القلاع ،
الشامخ . ونجران . ودار النصر . والحاكم . وتوجه بعد ذلك بمن معه
من الأجناد . وفي صحبتته الأشراف ومن بين أيديهم من الأتباع . وكان
متولي اليمن إذ ذاك محمود باشا . وأقبل أهل اليمن إلى الأمير طوعاً
وكرهاً . ولم يقم أحد في وجهه . وعند وصوله إلى (الزهراء) رتب
قلعتها . وتوجه إلى (الحديد)^(١) . وعند قربه منها خرج أهلها منها ولم
يبق فيها غير محمود باشا وأرباب القلاع . فأحرق الباشا ما كان في
المدينة من قشاش^(٢) . وتحصن في البندر^(٣) . ولما وصل الأمير عائض
بأجناده إلى مطرح (الجبانة) قريب الحديد على نحو ميلين سارح
أهل البندر وراوحهم بالفزايا حتى عدموا الراحة . ولكن في أثناء إقامته
أراد العزم على الدخول إلى البندر والاستيلاء عليه . أنزل الله تعالى على
الأجناد الوباء الذي لم يعهد وقوع مثله في تلك الجهات . فأفنى غالب
الناس . وقد كان في نفس الأمير التقدم على الحديد بمن بقي معه من
الجند . فأشار عليه كبار المسلمين أهل مشورته بالرجوع عن هذا العزم .

(١) الحديد ، مباء اليمن الأول اليوم

(٢) أكواخ صغيرة من القش يكسها الفقراء

(٣) البندر ، كلمة فارسية تعني المباء

والقفول بمن بقي من الأجناد . ولا غضاضة عليه ولا لوم فيما قضاه
 الحي القيوم . وله أسوة بفعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه لما وقع الوباء بالشام . وأراد أن يتقدم هو وأمير الأجناد على عدوهم .
 فلما وقع الوباء رجع من حيث جاء والقصة في صحيح البخاري . وما زال
 الموت في كل مرحلة . ووصل إلى (أبي عريش) والوباء لم ينكف .
 وكان وصوله ٢٥ جمادى الآخرة . وأقام ثلاثة أيام . وبقي أرباب القلاع
 على حالهم . واستصحب الأشراف معه حيدر بن علي . والحسن بن
 محمد . وأحمد بن الحسين . وكان يرجى وصول الحسن بن الحسين
 ولكن تعلل بمعاذير فأخذ أخاه أحمد بدله . وبعد وصول الأمير إلى
 السراة أرسل إلى أبي عريش رتبة^(١) عوضاً عن الرتبة الأولى كبيرهم الشيخ
 علي بن محي . وكان وصوله إلى المدينة العريشية يوم الاثنين ثالث
 عشر من شهر شعبان . واستقر هو ومن كان في صحبته في القلاع . ورجع
 رجال الرتبة الأولى إلى بلادهم .

وفي ليلة الأربعاء ٢٣ من شهر شعبان كانت وفاة الأمير عائض بن
 مرعي . ودفن ببلدة (السقا)^(٢) تغمده الله برحمته . وأسكنه فسيح
 جنته . وقد كان من الأمراء الراشدين حسن السيرة في رعاياه . وله
 السطوة على المعاندين له . وضبط مملكته الضبط التام . واتسعت دائرة
 بلاده حتى وصلت إلى أطراف الطائف وإلى قرب بتدر (الليث)^(٣) .

(١) مجموعة من الجند يربطون في القلاع . ويستبدلون كل مدة

(٢) السقا ، مقر حكم عائض بن مرعي . وتقع إلى الغرب من مدينة أبها على مسافة ١٥
 كم منها . والحقيقة أنه دفن في قرية (الحمير) الواقعة إلى الجنوب الغربي من (السقا) على بعد
 ثلاث كيلو مترات منها

(٣) مباء على البحر الأحمر شمال مباء القعدة

فتفياً ظلال الأمر والنهي من غير معارض نحو ثلاث وعشرين سنة . بل
ينتقل في أطراف بلاده . ويتنزه فيها على حسب مراده . وهاداه ملوك
البلاد البعيدة . وهادنه باشوات السلطان وشريف مكة . وجرت بينهم
المصالحة على حدود من البلاد . وكل منهم وفق بما التزم به من غير
عناد . وكان منتهى ذلك أن صار تحت الرجاء . وذهبت أيامه الغضة
كانها أحلام . فبحان من لا يزول ملكه المتفرد بالبقاء . القاهر عباده
بالفناء . لا إله إلا هو .



إمارة محمد بن عائض

وفي يوم وفاة عائض بن مرعي بايع عشيرته الأقربون ولده الإمام
 الماجد القائم مقام الألف إن غَدَّ ألف بواحد . وبعث رسله إلى أطراف
 مملكة أبيه . ووصل إليه الجميع . وأجابوا داعيه . وبايعوه . واستقر في
 تخت^(١) الإمارة . ولم ينجم عليه خلاف . ولا استطاع أحد (أن)^(٢)
 يعارضه من الأوساط والأطراف . بل تهيأ له الأمر من غير تعب . وأثناء
 الله الملك فلا مانع لما وهب . وهو أهل لهذا المقام . ولا يقوم أحد مقامه
 من الأنام . لما رزق من الكمال . وما حواه من حميد الخصال . وما امتاز
 به من الآراء السديدة . والهمة العالية المنيفة . وهو الليث البصير إن دعا
 للنزال داعيها . وهو كفو^(٣) الإمارة عند قاصيها ودانيها وينطبق عليه
 قول الشاعر :

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
 وقد طلع على غوته نجم السعد . وأفل عنه طالع النحوس . ولم

(١) كان محمد يوم وفاة أبيه مرابطاً قرب حدود الطائف . فبايع أهل الشورى الذين
 اختارهم الأمير عائض لتولية من يرون . ولم يوص بها أحداً من أبنائه . فبايعوا إبه علياً وهو
 الابن الأكبر فلما رجع محمد من رباطه تنازل له أخوه لما كان يشمتع من مؤهلات .

(٢) تخت ، كلمة تركية بمعنى سرير وثأني هنا بمعنى عرش الإمارة

(٣) أن ، ناقصة في الأصل .

(٤) كفو ، كفه .

تقابله الليالي والأيام بمكروه ولا بؤس . وقد وقعت التهنئة له بهذه القصيدة ،

نظام التهاني لؤلؤ وفرائد	على عنق العلياء منها قلائد
ملك دعا فاهتزت الأرض فرحة	وعاد عليها بالمسرات عائد
نفى الخوف عن كل البلاد مدعوة	يكاد لداعيها تلبي الجلامد
شجاع به تقوى الجيوش على اللقاء	ومن جأشه للجيش قلب وساعد
يرجي نداء كل ماش وراكب	وتخشى صداه الأسد وهي خوارد
فله يوم قمت فيه وساعة	لطالها الميمون حظك راصد
ستملك أقطار البلاد جميعها	ويدنو إليك النازح المتباعد
ويصبح عاصي الأرض للأمر طائع	له سابق خوفاً إليك وقائد
فيا بيعة جاءت بأربح متجر	لها الله من فوق السموات عاقد
لقد صاغت منك الإمارة ماجداً	له شاهد من مجده ومشاهد
تخيرت الكفو الكريم من السورى	بمهر هو البيض الرقاق الحدايد
فحق هنا حقاً لها بك لا بها	هأنت إمام قمت أو أنت قاعد
ودم أمراً طول الرمان وناهيأ	لحكمك تدبير الإله معاضد
وهاك هناء نظم الفكر دره	تمناه في أعناقهن الخرائد
وصل إله العرش ما ناح ساجع	وما ارتفعت خضر الغصون الموائد
على المصطفى المختار خيرة خلقه	كذا آله ما خر لله ساجد

ثم بعد استقراره في قرار مملكته . وبلوغ مقصده ونهاية أمنيته .
جرى الخوض في مادة الأشراف حيدر . والحسن . وأحمد الذين هم تحت
حفظ أبيه . ولم يزل الكلام يدور بين الكراء من المسلمين . ولحسن

سيرة الأمير . وصعاء سريرته ساعد في إطلاقهم . وانقطع الكلام على أن كل واحد منهم يجعل رهينة بدله . وأن قلاع أبي عريش تخرب جميعها ما خلا دار النصر لأجل حفظ البلاد . وتتعاقد الرتبة من طرف الأمير . وأن العامل في الجهة الشريف الحسن بن محمد من تحت الرأي والتدبير . ولا يكون منه مخالفة لأمره من قبيل ولا دير . وبذل العهد على ذلك . فبذل أولئك الأشراف الرهائن ما خلا أحمد بن الحسين فما ساعد أخوه الحسن لإبداله . ولما تمت هذه الشروط . التي هي بكل عهد وثيق مربوط . كان انفصال الأمير محمد بن عائض والشريفان المذكوران صحبته في جيش حامل من عسير متكامل في ٢٧ شهر ذي القعدة . وكان وصوله إلى أبي عريش يوم الجمعة ٢٥ ذي الحجة الحرام ففرح الناس بقدومه . وكان دخوله والبيارق تغفق على رأسه وسيوفه لأوليائه حامية . وعلى الأعداء بالردى قاضية .

دخلتها وشعاع الشمس متقد ونور وجهك بادي الخير سافره
في فيلق من حديد لو قذفت به وجه الزمان لما دارت دوائره

وفي يوم السبت ابتداء بخراب القلاع . فكان الابتداء بقلعة نجران . وأخربت بعد ذلك قلاع أبي عريش . وأصبحت خاوية على عروشها . منكئة لخرابها على رؤوسها . وهذا شأن هذه الدار سريعة الانقلاب . ولقد صدق من قال ، « أولدوا للموت وابتوا للخراب » وبعد أن بلغ الأمير ما أراد من خراب القلاع جعل رتبة في قلعة (دار النصر) . وجعل الشريف الحسن بن محمد عاملاً على المدينة المريشية وسائر

البلاد التي هي تحت يد الأمير من حدود (وادي مور)^(١) إلى حدود (وادي صمد)^(٢) . وأما (صبيا) ومخلافها فالعامل فيها الشريف الحسن بن أحمد بن حمود . ثم إنه بعد أن ضبط أمور الجهة توجه من أبي عريش لعله السادس والعشرين^(٣) من الشهر المذكور^(٤) وتوجه إلى السراة بعد أن تم له في جميع أموره الوفرة . وتم له ما أراد بملاحظة السعادة في ذلك السفر .

يلقى الندى برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفل ترك الفضاء مضيقاً
واستقر في بلده السراة يتنقل في تلك الممالك . ويسلك في أوامره
وبواهيه أحسن الممالك . قد ازدهت به الأيام . وصارت الأوقات كلها
أعياداً . وأمنت معانيته الطرقات في جميع حدود بلاده . وانقمع خوفاً
منه كل باغ وفاسد عن بغيه وفساده . وأقام الحدود الشرعية على أهل
الجرائم . وحكم الشريعة المطهرة في جميع القضايا من غير معارض ولا
مزاحم . وانتشر في ممالكه لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام
بمعالم الدين من أفراد الله تعالى بالعبودية . وزجر العوام عن اعتقاد

(١) وادي مور ، وادي يندى من منطقة حرمس ويجري إلى البحر الأحمر . وهو قريب من حدود اليمن

(٢) وادي صمد ، وادي يندى من حال بني مالك وجبال الحشر ، ويمر جنوب صبيا ، وينتهي في البحر الأحمر

(٣) والعشرين ، الصحيح والعشرون

(٤) من الشهر المذكور ، يبدو أنه من الشهر التالي وهو شهر محرم حيث لا يقبل أن يكون قد تم هذا كله في أقل من يوم واحد كما أنه لا بد له من الراحة من السفر .

الضر والنفع في سوى حالقهم ومعرفة « لا إله إلا الله » التي هي كلمة الإسلام . وأوقاته مرتبة على حسب المقتضيات بعضها للدرس في معرفة التوحيد . وما يقرب إلى الله في أمور العبادات . وبعضها يجلس فيه لسماع الشكايات وإزالة الظلمات . لا يكاد يذهب عليه وقت لغير مصلحة على اختلاف المرادات . وهو الآن بارك الله تعالى في عمره ملازم للسيرة الحسنة . سالك للطريق المستحسنة . ملاحظ لتوظيف الناس على قدر مراتبهم . قريب الجناب . شريف الخطاب لا ينقص له معلوم ولا ينسخ له مرقوم أو مرسوم . لما هو عليه من الحزم الذي يعز على غيره من الأنام غير ملتفت لغرض في نفسه . بل هو سليم الصدر للمخاص والعام .

تملك الحمد حتى ما لفتخر . في الحمد جاء ولا ميم ولا دال

عليه منه سراييل مضاعفة وقد كفاه من الأذى سربال

وفي هذه المدة توجه الشريف الحسن بن الحسين^(١) إلى نجران مستنجداً بقبائل (يام)^(٢) بعد أن تكررت الطلبات له من الأمير لأجل الوصول إليه . والمثول بين يديه للتأكد منه من أمور كثر القول بأنه أساء التصرف فيها . فعرف الأمير أنه قد خلع الطاعة بتوجهه إلى نجران . وفي أيام إقامته ترجح للشريف الحسين بن محمد مكاتبته ومكاتبته (يام) . ويحثهم على الوصول إلى أبي عريش . وأن المراتب وأهل المدينة في يديه . وأنه سيسنده مولاه الأمير وراء ظهره . والله در القائل

(١) نعم الحسن بن الحسين على أمين عمه الحسن بن محمد عامل الأمير محمد بن عائض

على أبي عريش وذلك لأنه ولي الأمر دونه

(٢) كان الحسن بن الحسين يعرض قبائل (يام) للخروج عن طاعة الأمير محمد بن

عائض ويخادعهم ليصموا إليه صد ابن عمه عامل أبي عريش .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس ، تعلم^(١)

ومع ذلك فقد كتب الأمير إلى الحسن بن محمد أنه مهما تحقق نزول الحسن بن الحسين و (يام) إلى تهامة . فساكون أسرع من وصول الفارة إليك

مواعيد صدق ما لها من تخلف تطيب بها نفس الذي ليس بحدع ولكن الشريف الحسن قد ركن إلى مواعيد (يام) وأنه هو القائم بالأمر في النقض والإبرام . وأن الحسن بن الحسين إنما هو في صورة وسيلة إليهم في دفع النزاع . فبهذا الأمل أصاع الحزم بعد مولاة الأمير . والله درّ القائل

وكم رافض. أمراً وفيه نجاته ومرتجياً نفعا وفي نفعه الأفعى ولما انتهى مسير الحسن بن الحسين إلى أطراف أبي عريش ومعه ثلة من (يام) لا استطاعة لهم على مقاومة من في المدينة . ولكن لما كان المتولي عليهم قد أرحى العنان لهم ومنتود بتلك الأمانى لم يكن منه بدل النصح بالقتال . وكان سعيد بن مرضى أمير الرتبة التي في (دار النصر) قد اتخذ سوء الطن بالحسن وأهل المدينة شعاراً . لكن أهل المدينة قد حصلت منهم المخادعة . وعزموا على ترك القتال . وتلقوا أوامر من الحسن بن الحسين بالقبول على كل حال . وكان مصاد ليلة ٢٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٣ في طرف المدينة من اليمين . فكاتبه الحسن بن محمد بما فاض فيه خاطره . وطلب وصول ثلاثة أنفار من

(١) البيت لرهير بن أبي سلمى الشعر الجاهلي المعروف

كبار (يام) ، فسروا تحت ذيل الليل . وخرج إليهم الحسن بن محمد بعد وصوله تحت قلعة (الشامخ) . ودار الكلام بينهم فيما قد منّوه به من تلك الأكاديب . فلم يقف منهم على طائل . وتبين له أنهم لا يلتفتون إليه . ولا يتخذون بالحسن بن الحسين بديلاً عنه . فندم عند ذلك بدامة الكسعي أو (ابن عبشان) . وخسر الصفقة . وترك الوفاء مع الأمير الذي به يرتفع الإنسان . ولكن لا ينفع الندم في ذلك الحال . وقد ضاعت عليه الحيلة فيما صنع من تلك الأمور العراض الطوال . وفي ليلة وصوله إلى أطراف أبي عريش طاف على المدينة . وكل واحد من أهلها قد استقر في بيته . ولم تظهر منهم حركة الدفاع . فتبين للشريف الحسن وأهل رتبة دار النصر أن أهل أبي عريش قد ألقوا السلم إليه . وأنه قد حتم الأمر بينهم وبينه بليل على الدخول في طاعته . وفي ثاني يوم المطاف دخل من غربي المدينة . واستقر في غربي المدينة هو ومن بصحبته من الجند . فثارت الحفيظة لأمر رتبة دار النصر . وأطلق من عنده ثلاثة مدافع . ولكن لم يكن له مناصر على قتال (يام) ولا مدافع . ولم يزل الخطاب دائراً بين الحسن بن محمد وكبير (يام) علي بن الحسن المكرمي في السداد والدخول تحت الطاعة وترك الشقاق المفصي إلى العناد . وما اتفق شيء على ما يريده الحسن لشيء قد سبق في علم الله تعالى . فأنحاز هو ومن أطاعه من الحاشية في قلعة وفتح باب الحرب طناً منه أنه يتم له ما أراد . وبلغني أن زادت قوة الحسن بن الحسين و (يام) بذلك ولكنه لم يستعمل الحزم في حفظ السر المحاذية لقلعة الشامخ . وما شعر عصر يوم الاثنين إلا والصارخ يقول : إن

المطرح قد خرجت منه عصاة من أهل البنادق لأجل المضايقة لأهل الشامخ . فأغلق باب البيت . وتأهب من فيه للمدافعة . وكانت ثلة من العريشية خارجة من القلعة فوق وقع منهم فتح باب القتال . واشتد الزحام بينهم في ذلك المجال . وقام أولئك الثلة مقاماً حمدت فيه منهم الأفعال . وتقاعس الجند الباقي لما وقع قرب العريشية حال المجاورة من البيت وقتل بعض خواص المكرمي . وأبيد حراسه . فعظم الأمر على المكرمي . وساء ظنه بالحسن بن محمد . وقلب له ظهر المجن . فجمع من بين يديه من (يام) . وأجمعوا شورهم على ترتيب البيوت الحجر والمساجد المعاذية للشامخ . فما أصبح الصباح إلا وهي مرتوبة . فأسقط في يد الحسن ومن معه . وحينئذ ثار الحرب منهم . فوقع الضيق على من في الشامخ والتعب . وانكف الوارد إلى البير . ومن أقدم على السقاية رمي في تلك الساحة . فلما بلغت القلوب الحناجر فما وسع الشريف الحسن غير مكاتبة الحسين بن الحسين . وعلي بن حسن المكرمي في طلب الأمان . وأنشد لسان حاله

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا يسع المضطر إلا ركوبها

فأسعدوه إلى ذلك . وطلب الوقفة من علي بن حسن المكرمي وكبار (يام) . وصلاح الأمر بينهم على أن يدخل تحت طاعة الشريف الحسن بن الحسين . وأن يتولى إخراج رتبة دار النصر من غير بأي طريق ممكن ولو بالقتال . ووصل إلى مطرح (يام) . وبذل العهد للحسن بن الحسين . وشرطوا عليه بقاء إخوانه عبد الله وأبو طالب في مطرح رهائن حتى تخرج رتبة دار النصر فبدل ذلك . فما زال الكلام

يدور بينه وبين سعيد بن مرضي أمير رتبة دار النصر حتى أذعن بالخروج والانخداع للحسن بن محمد بأمور ما وقف منها على طائل ، ولو استعمل الحزم ما اتصل به أحد حتى تصل الغارة (النجدة) من طرف الأمير محمد بن عائض . مع أنه في أثناء المفاوضة بينه وبين الحسن بلغه وصول الشيخ سعد بن عائض^(١) في طائفة من الخيالة إلى مدينة (صبا) ولكن كما قيل ،

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويفري المرء بالفشل

وتلك الطائفة مع الشيخ سعد مرسلين من قبل الأمير مقدمة قبله للغارة على الشريف حسن بن محمد والرتبة المذكورين وفاء بما قد وعد . وخرج سعيد بن مرضي ورتبته على غير وجه مرضي ، وأصحابهم المكرمي رفقا من رجال (يام) . ودخل الحسن بن الحسين وجماعة معه دار النصر في ساعة خروج الرتبة . ولما وصل سعيد بن مرضي إلى (صبا) علم به الشيخ سعد بن عائض فأذاقه طرفاً من الهوان . ونال أصحابه من الطرد والابعاد ما تمنوا أن ما كان لا كان . ولكن بعد انقضاء الأمر وانقطاع مدد ذلك القصر أما الأمير فقد حشد الأجناد وأسرع الغارة بهمة سامية . ولما انتهى وصوله إلى شعب (رملان)^(٢) بلغه خروج الرتبة من قلعة دار النصر والاستيلاء عليه . وأن الحسن بن محمد سلم القيادة ، فسير له من أحسن عدم الصيحة . وأنه غير مستعمل الوفاء

(١) سعد بن عائض بن مرضي ، أخو الأمير محمد بن عائض

(٢) رملان ، واد جنوب (غنود) التهامي . وفيه أثر حصنها الأمير علي بن معقل ولا

تزال قائمة إلى الآن

معه مع معاملته بهذه المعلة القبيحة . وما كان من الأمير إلا الإقدام على الوصول إلى الجهة العريشية لأجل أخذ من فيها ولما استقر بأطراف أبي عريش . وحصل غاية الضيق على من بالمدينة من أهلها . ومن (يام) . أخذ بعضهم بالرحيل . توسط من يحب الإصلاح بين الفريقين . وكان وصول الأمير إلى أطراف أبي عريش في سادس وعشرين شهر ذي الحجة ١٢٧٣ هـ . ولما رأى الأمير أنه لو أقدم على أهل المدينة مع منع الحسن بن الحسين لهم من الخروج لهلك الساء والأطعمال . وذهب إن افتتح باب الحرب من لا ذنب له ولا سبب له . في هذا الحال استعد بالإصلاح واتخذ الحلم شعاراً له في المساء والصباح عملاً بقول الشاعر

لا تصغ إن شرّ دعا فالشر إن تنهض له ينهض وإن تسكن سكن
وسديد رأي لا يحرك فتنة سكنت وإن حركته الفتن اطمان

وقلد الولاية الحسن بن الحسين على شروط معلومة . وتأدية مال الله من خراج البلاد . وانفصل الأمير إلى بلاده من ذلك الملتقى على حال يسر الودود ويغيظ الحسود في المبتدأ والمنتهى . وكان توجهه يوم سابع وعشرين من شهر ذي الحجة . واستقر في بلاده . ولقد صفا له الجو من المشاركة في الأمر . وجرى له بما يريد من السعادة الدهر . والله در القائل

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبلى وإن نظرت شرراً إليك القائل
وإن فوق الأعداء نحوك أسهماً ثنتها على أعقابهن المفاصل
والتفت إلى ترتيب بلاده . وقرّر الأمور . وضبط الأطراف

والحدود ، ونفذ فيها أوامره في الصدور والورود ، وكان يتنقل في أطراف
بلاده ، وعين السعادة تجري بإسعاده ، وهو الحقيق بما قيل فيه ،

يقول لي الحادي وقد جذ في السرى وللعيس وخد بين تلك الغياهب
وقد خالط القوم النعاس في السرى وهم بين ماش في القفار وراكب
إلام التماذي في السرى يا أخا السرى وحتام قطع للربا والسباب
أما حان للعيس المناخ ، فقلت لا مناخ سوى في سوح عالي المراتب
فجد إلى سوح من المجد أحصر به تنظر الوفاة من كل جانب
إلى سوح وافي القول والفعل والندى

حكى الخمر ما العبد الفرات لشارب
إلى ملك يملأ القلوب مهانة ويملاً الأيادي بالعطا والرغائب
إلى ملك ساد الملوك بأسرها فرتبته فوق السها والكواكب
حمدت السرى لما أنخت بسوحيه وتوحت آمالي بنيل المطالب
هو الفارس المشهور في كل معرك ومُردي العدا فيه وليث الكتائب
له الحملات الصادقات في الوعي إذا كَلَّت الأبطال عن كل ضارب
يحدث عنها كل غاد ورائح ويخبر عَمِها حاضر كلّ عائب
هو الخائن الأهوال يوم لقائها إذا ما غدا بين القنا والقواضب
وعارسها الصديد في حومة الردى إذا اضطرم الجيشان بين المضارب
إذا جُرَدَت يوم الجلال صفاحه فأعمادها هَامات كل محارب
وإن أشرعت فوق الجياد رماحها فموردها بين الكلا والترائب
مفارق هام الدارعين إذا امتطى جواداً وتياراً أمام المواقب

له خضعت غلب الرقاب وقد غدت
 حمى كل قطر من حماه فأصبحت
 همام يعانى كل هول وحادث
 بعزم إذا أودعته البيض لم يدع
 وكم لك من نصر من الله ظاهر
 لك الخير إذا حييت للشرع والهدى
 وأمنت من في البر والبحر بعد أن
 تأسيت أخبار الملوك وما مضى
 فكم لك من بأس يذوب لهوله الـ
 بقيت بقاء الدهر يا خير ماجد

بأبوابه أسادها كالشعالب
 به الأرض في زهو لآب وذاهب
 وقد جرّع الأعداء صروف النوائب
 على الأرض من باغ بها ومحارب
 وكم لك من رأي هنالك ثاقب
 ونلت مقاماً في العلا غير عائب
 غدوا من عظيم الخوف في كف لأعب
 لهم من أحاديث جرت ومناقب
 جماد وفعل صادق غير كاذب
 لتشييد عز أو لبذل مواهب

وبعد مدة أرسل الأمير إلى الحسن بن الحسين الشيخ علي بن
 هادي بن سليم لقصد تسليم ما ضربت عليه القواعد . وهو الرسول في
 قبض بندر (جازان) . وأخراج رتبة الأمير منه . لأنه كان فيه حقوق
 متعلقة لعامل الأمير ورتبته . وللشريف الحسن بن أحمد العامل
 بـ (صبيا) . فوقعت المهلة في محصوله مقدار شهرين . ولم يحصل من
 الحسن بن الحسين شيء مما وقع عليه الشرط . وإنما أبدى معاذير
 بضعف حاصل البلاد . وأنه لم يف بما تحت يديه من الأجناد . وبعد
 انفصال علي بن هادي أشار عليه بعض أهل حضرته أنه لا يحسن منك
 إلا الوفاء مع الأمير في مثل هذا الأمر الخطير . فتلافى الأمر وأرسل بعض
 أعوانه فيما بلغ بحصته من الدراهم . وبعد ذلك لم يحصل من الأمير
 متابعتة فيما وقع عليه الصلح لأنه طهر له منه عدم الوفاء بذلك وعدم

التمام لما هنالك ، فضرب الأمير عن طلب ذلك الحاصل صفحاً ، وطوى
عن المبالاة به كشحاً ، وما أعقب ذلك إلا انفصال الشريف الحسن بن
أحمد بن حمود من مدينة (صبيا) إلى الأمير ، وأذن له في طلب من
يريد من عساكر الجبل ، وفي بث الرايات لأشراف تهامة ومشايخها
لأجل تزحلق الحسن بن الحسين عن الإمارة لعدم ضبطه للبلاد ، وقهره
بالمطالب الدنيوية للعباد ، فأرسل إلى العساكر رسائل ، وحشهم على
الوصول إلى حضرته لدفع هذا الحاصل ، ولله در القائل ،

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

ثم دخلت سنة ١٢٧٥ وفيها توجه الشريف الحسن بن الحسين إلى
جهة (الزهراء) . وبعد نفوذه وصل إلى الشريف الحسن بن أحمد بعض
عسكر ، واستقروا بصبيا . وعند ذلك أظهر الخلاف وباين أهل هذه
الأطراف لما جرى منهم من الاختلاف ، وتسلط على أهل وادي
(جازان) ، وأسر منهم من أسر . وجرى من الأمور ما هو في الكتاب
مستطر . وبعد ذلك وقعت المكاتبة من عامل أبي عريش من طرف
الحسن بن الحسين للأمير ، والترم له بما تيسر من حاصل البلاد ،
وأحابه الأمير إن ما قصده إلا الإصلاح والوفاء بما وقعت عليه الشروط ،
ووصل رسل الأمير وسلم لهم عامل أبي عريش شيئاً من الدراهم . وبعد
انفصال الرسل لم يشعر الناس إلا بوصول الحسن بن الحسين على حين
غفلة . وكان دخوله المدينة العريشية يوم ١٩ شهر جمادى الأولى ،
واستقر في بيته (نجران) هو ومن صحبه من الأشراف وثلة من (يام) ،
ووقع منه المصادرة من الناس في تسليم دراهم لا يطيقون القيام بها قصده

زلاج" (يام) . لأمر قد سبق بها علم الملك العلام . ولم يزل أهل
 الأسباب والتجارة في معاناة أهوالٍ عراضٍ طوال . حتى بذلوا جملة من
 الأموال وتسلمتها (يام) . ولم يحصل منهم نفع له بل كان نزولهم إليه
 براعة استهلاك . تغير قلوب الأنام . واستبقى له ثلة من (يام) مراده أن
 يرتبهم في دار النصر بدل العراشية . وأخر أمرهم بعد ما يستريح من
 شغلة (يام) . وكان أهل المدينة العريشية قد كثر مشاربهم العامل من
 طرف الحسن بن الحسين . وساق إليهم أنواعاً من الأدايا . ولم يسمع
 لكلام فصيح يرشده إلى الصواب ويهديه . واغتنم الشريف الحسن بن
 محمد هذه الفرصة . ورأى أن السعادة قد لاحت له . وله في جلب الناس
 إليه رخصة . فساعدته أهل دار النصر من العريشية . وداخلهم العيب « أي
 الخروج عن طاعة الحسن بن الحسين » . والحسن بن الحسين في غفلة .
 غير مستعمل للحزم . ولا يدري ما الناس فيه من المكائد له وكلما بلغه
 من خواصه شيء من تلك الأخبار تلقاها بالرد وعدم الاصغاء لذلك . ولا
 دافع لما جرت به الأقدار . والحسن بن الحسين همه الخلوة في مبرز
 عشاش في بعض الدائرة . قد اتخذ موضعاً لراحته في كثير من الأيام .
 وكان قد نمي إلى الشريف الحسن بن محمد من بعض إخوان
 الحسن بن الحسين . ومن بعض (يام) . أنه يريد الفتك به متى
 ساعدته الأيام . وأن يأخذ حذره من ذلك الغدر . ولا يصغي في المساعدة
 بالصلح لزيد ولا لعمر . فاتخذ الحزم عدة . وكان الحذر شأنه وقصده .
 ولم يزل يعمل الحيل والمكائد في الفتك بالحسن بن الحسين . أو

إمساكه باليدين . فلما كان يوم الثلاثاء لعله الحادي والعشرون من شهر جمادى الآخرة ١٢٧٥ وقع صريخ في البلد . فخرج الحسن بن الحسين في طائفة من الخيالة وكبار المدينة . وضربوا ساحل جازان . وما وجدوا كيداً في تلك المسيرة . ورجع الحسن بن الحسين ليلة الأربعاء واستقر في بيته . وما شعر يوم الربوع ٢٢ من الشهر المذكور إلا وقد تحقق لديه خبر احتلال دار النصر وأنهم يريدون يطلقون البيعة على الحسن بن محمد . وفيه يرتفع أمر البلد عنه . فما كان منه إلا الإرسال لبعض الرتب . وجعله تحت الحفظ لديه . وأرسل بعض الأشراف ليهقى في دار النصر . ويكون حفظ تلك القلعة عليه . وقبل غروب الشمس خرج إلى ذلك المبرز العشاش على حسب العادة . وانمرد في ذلك المكان . واختلى بآبن عمه الشريف (أبو طالب) بن حيدر . وطرد عنه عبيده والأعوان . لأمر قد جرى به علم القاهر الديان . فما شعر بعد صلاة المغرب إلا وجماعة من عبيد الشريف الحسن بن محمد قد هجموا عليه في ذلك المبرز العشاش . وأمسكوه باليدين . فما وجد حيلة يلوذ بها . غير أنه مع خروجه من المكان تمسك بعضادتي البيت البراني . وامتنع عن الانقياد ومطاوعة العبيد خشية من شماتة الأعداء والشوانىء . وهم في أثناء إمساكه يقولون : اذهب معنا إلى الشريف الحسن بن محمد ولك السلامة . فلم يستعد . وضرب الصوت في تلك الأماكن فبادره بعض العبيد فطعنوه في خاصرته طعنة وفي ظهره أخرى فطاح في الأرض وقد أثبتته الجراح . وأما أبو طالب فرمي ببنديق من وراء البيت فأصابته رصاصة كان فيها إزهاق روحه وخلاصه . والحسن بن الحسين بقي

ساعة يعالج فيها سكرات الموت . وقضى نحبه . ولحق بربه . واندesh
الناس من هذا الواقع . وكان ذلك في ٢٣ من شهر جمادى الآخرة .
وحمل إلى قلعة نجران . ودفن في جانب من البيت . وهذا حال هذه الدار
لا يتم لأحد فيها قرار على كرم من الأدوار . وبعد ذلك بايع الناس
الشريف الحسن بن محمد . ورفع للأمير بهذا الواقع . فلامه على فعله .
ولم يزل يكاتب الأمير في سداد الحال . ويطلب منه الرضا عنه
والمساعدة في صلاح البلاد على حسب العادة . ولكن الأمير مع ما جرى
منه من تلك الحوادث ومخالفته عليه بعد العهود الأكيدة وتأيبه على
البلاد لم يركن إليه ولا بمقاله . ولا أصغى إلى شيء من تزويره
ومحاله . ولكن مع هذا الفعل نفرت منه القلوب . ومع علم الناس بأن
الأمير لم يعاضده خرجت الرعايا وظهر الفساد وتقطعت الطرقات . ولم
ينضبط أمر البلاد . ولما عامل العراشية بالحفاء وعدم العدل . ولم يف
لهم بما قد قعدوا عليه القواعد أيام الحسن بن الحسين . وكان الشيخ
أحمد بن حسن هو القائم في المدينة . واحتجب الحسن في بيته . وعول
على أحمد بن حسن في أمور أهل البلد . ولم يكن منه التفات إلى ضبط
الناس وسماع الشكايات فوقع من الرعايا الملل منه . ورفع أحمد بن
حسن حقيقة الحال إلى الأمير . ولم يزل يعمل الحيلة في أهل المدينة
حتى انقادوا لما يقول . والحسن في غفلة عما الناس فيه . بل يتردد من
أبي عريش إلى (المجصص) معقل قد بناه على وادي (جازان) .
وعانى هنالك الحرثة . وكلما ألقى إليه خبر لم يتلقاه بالقبول . وقد
ورد في الحديث إذا أراد الله أمراً سلب من ذوي العقول عقولهم حتى

يمضيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، ولله در القائل .

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن
فما جاءه إلا انفصال الأمير من السراة في جنود متكاثرة ، وأبهة
عظيمة ، وفوارس أبناء الطعن والضرب وهو المقدم فيهم

يحتال في ررد الحديد كأنه سيف من ذي برن لحمير قائد
وكانما وهج الفوارس في الوغى تحت العجاج صواعق ورواعد

ولما قرب من المدينة العريشية لم تزل كتبه إلى الحسن بن محمد
بالدحول في الطاعة والانتظام في سلك الجماعة ، واستعمل الصبر في
الخطاب ، وأقام الحجة على الحسن من كل باب ، ولما طرح غربي أبي
عريش تلقاه أهل البلد بأجمعهم طوعاً وكرهاً ، واقتضى الحال المراسلة
إلى الحسن ببذل الأمان ، وأصحابه مع بعض الأعيان ، وشرط لنفسه
شروطاً ، وبذلها الأمير ، ولم يزل ينوع المعاذير من يوم إلى يوم ، ولم
تقف الوسطاء على طائل من أمره ، وكان رتبة نجران قد ألقوا السلم أول
يوم دخل الأمير ، وبقي أهل دار النصر والشامخ ، وفيهما رتب كثيرة ،
وأعذر الأمير إليهم بالمراسيل ، وحين لم ينقادوا للصالح في دير ولا
قبيل ، أنشد لسان حاله

لقد تصبرت حتى لات مصطبري فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لا تركب وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم
فرتب الجنود ، وبند البتود ، وحملوا على قلعة دار البصر موقع
الحرب ساعة ، فأصدق المسلمون عليهم الحملة ، ودخلوا معهم في القلعة .

فصاحوا بطلب الأمان . وشاهدوا من الأمور الفادحة مالا يصبر عليه
إنسان فيجنحوا إلى السلامة . فبذل لهم الأمير الأمان على حطة الحلقة^(١) .
وما انتصف النهار إلا وقد صارت رتب الأمير فيه . ولم يبق غير الشامخ .
فعبأ له الأجناد . وأحاطوا بالبيت إحاطة الهالة بالقمر . أو الأكام
بالشمس . وفي آخر يوم نهار الحرب ركب الأمير إلى دار النصر . وأرسل
عليهم المدافع . وكان توجهه معه في تلك الحالة عصابة من المسلمين
يحفون به خيلاً ورجلاً في عدة تفيظ الحاسدين .

متقلدون صفائحاً هنديةً يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وإذا دعوتهم لكل كريهة وافون بين مكبر وموخذ

ولما وقع الضيق والحصار على أهل قلعة الشامخ طلبوا من الأمير
الأمان . فأمنهم . ونزلوا على غير اختيار الحسن . وكان الطالب لذاك
العراشية الذين معه في القلعة . وأما العسكر الذين من (سحر)^(٢) فما
علموا بذلك . وحين أطلع الحسن كان العراشية وهم خيرة الرتبة ضاق
عليه المجال . وتيقن أنه يحل به الهلاك على كل حال . وأنه لا ينجيه
إلا الفرار . ومفارقة بيته وما معه بغير اختيار . فمكث حتى أرخى الليل
ذيوله . وغفل الناس . فركب ظهر جواده وخزج بنفسه وبعض عبيده .
وما أصبح إلا بطرف الجبال . وقد عانى في الطريق من الكرب
والأهوال . وكان الأمير يترقب أنه يشرد ويتحدث بذلك قبل الواقع .

(١) الحلقة . السلاح

(٢) سحر . قبيلة من همدان

فبعث الأمير بعدد من الخيالة من يتجسس خبره . فوصلوا وأخبروه أنه قد نجا بنفسه . ودخل بلاد بني حريص . ومن هناك توجه إلى نجران بلاد يام . وكان ذلك خاتمة أمره^(١١) . وسبحان من هذا في علمه . وبعد خروجه وصل من كان في قلعة الشامخ من إخوانه وبعض العسكر إلى الأمير فأودعهم في الحفظ . وأقبل على قلعة الشامخ . فأما النساء والصبيان فجعل من يخرجهم إلى المدينة . وخرجوا سالمين . لأن أجناد المسلمين دخلوا القلعة . وتفرقوا ما فيها . ولم يبقوا فيها باقية . وترجع للأمير خراب البقاع . فبدأ بقلعة الشامخ فأخربها وأصبحت أثراً بعد عين^(١٢) . أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا . أخنى عليها الذي أخنى على لبد وأبقى طائفة من الجند في المدينة العريشة لخراب نجران ودار النصر . وتوجه إلى اليمن بجنوده والرايات تخفق على رأسه

هو الناصر الدين الحنفي قدومه ورافع رايات على السنة الغرأ
ي صاحبه العدل الذي شاع ذكره وحسبك عدلاً موسع للورى دكراً
وأراؤه مثل النجوم ثواقب ترى دونها البيض الصوارم والسمرا
فأبقاه رب الناس للدين ناصراً ولا زال منصور اللوا عاقداً بصرا
وانتهى إلى الزهراء . وانتهى الصلح بينه وبين باشا اليمن في ذلك الوقت . ولم يلق في مسيره كيداً . واستولى على تلك الجهات . وجعل لها

(١١) قتل أهل يام الشريف الحرس عند وصل إلى بلاده وأرسلوا الحرس إلى الأمير محمد
(١٢) وفي هذه النجاة قال الشاعر عبد الحفيظ بن إبراهيم بن أحمد العنطري أحد فقهاء
عمر القصبة التالية بعد عودته إلى السرا
هتيت بالصبر في عيش عليك هنى وموتت بالتصر في شام وفي يمن^(١٣)

عاملاً . ورجع إلى أبي عريش . وبين يديه الجنود . وحول عشيرته
الأسود .

كانهم وإمام الحق بينهم
من معشر إن هم هزوا الوشيح بدوا
غزّ الوجوه إذا التف الندي بهم
إذا المضام دعاهم يوم نازلة
يحمون بالبيض عزاً لا يباح له
شهب تحفّ بيدري في ذرى غيم
تحت الذوابل كالأساد في الأجم
بيض المكارم والأفعال والشيم
جاؤوه بالسمر والهندية الخدم
حمى . وبينون مجدأ غير منهم

ولا برحت على الأعداء منتصراً
لعيك يا بهجة الدنيا وزينتها
وقد سمعت بنا من عندكم عجباً
إن قد ملكت القصور النائفات على
إن القصور لفي وصف القصور أنى
تركها صفصفاً بالقاع هامة
فأصبحت عبراً للناظرين لها
أمت تحوم عليها الطير باكية
والوحش يضحك في أرض لها طرباً
وكيف أصبح دار النصر منجدلاً
كانه جبل في بطن مقبرة
وصار نجران دكاً بعد رفعتة
والشامخ الشامخ المهديم شامخه
من بعد ما قيل لي أن قد دعوت له
فغار مستكفاً لم يروع حرمتها
وظن جهلاً بأن ينجيه شامخه
وكيف ينحو وسهم الموت يطلبه
في الشرق والعرب مع شام وفي يمن
حيث بالأمن والإحسان والممن
أراح مكتئباً من صولة الزمن
(أبي عريش) الشهير الفرد في المدن
ولا كقصر سما (سام به فنى)
كأسها في قديم العهد لم تكن
وذاك مصداق ما في سورة بني
من فقد ما ألفت فيها من السكن
فأعجب النوح ضحك صار في قرن
طود القصور الذي أربا على القس
لافت به العصم لا تأوي إلى وطن
وهو الفريد الذي ما مثل داك بني
قد فر منه شريف الأصل في علن
يوفي عهوداً جرت في مالف الزمن
يأليه لعهود الله لم يخن
هيئات يل باع نمأ أبخس الثمن
وسهم ناهد في الروح والبدن

ففتمت حين أسي إلا مكذبة
 ولم يكن بالرقى قد صبح من وحي
 لكنه زاده حرجا على مرض
 ليس الرقى لجميع الناس شافية
 فلم يكن غير أن حرّ الظلام له
 صاق الحساق عليه حين ناره
 فعزّ مثل نعام حافل عجل
 مشى برحله عمدا نحو مصرعه
 فقل له والأي كانوا محابه
 هل وقفتم ولو مقدار بارقة
 يا بؤسه في احمادى ا كان مصرعه
 قد حطه البين من شماء شامخة
 حرّ للهم والكفين معمر
 ما ويحه من صريح بالحماقة لم
 أما درى أنه الصرع من نعر
 ارومة من قریش طاب معدنها
 الطاعون العدا والمائلون لهم
 هم العاث لم قد مات ملتف
 حموا عن الدين ما لم يحمه أحد
 أكرم بهم ويقوم تأعين لهم
 جحافل مثل أمواج الحور فلا
 يفودهم غير هباب ولا وحل
 حمى القرى والسوادي من محاورها
 نادى المعالي فلتته على عجل
 يقسو إذا ما رأى حصا بانهره

بالحرب والضرب في الهامات والوتن
 فكم رقيت لداء فيه مكتن
 فحنته بعلاج الحادق العطر
 الكي أشعى لحد الأحراب النثر
 فاستمطأ الليل بأويه إلى حس
 قرم الأسود مهب العاب والعن
 لم يلو رأسا على أهل ولا سكن
 ليقصي الله امرا في السماء سي
 عند الفرار مقالا غير ذي لكن
 فليس ينحي فرار الحائف الحسن
 تاريخه رال خط القيدم الحسن
 لما جميع مياديه على دح
 لما تعوده من فعله الخش
 يرقب عواقب نقص العهد إذ يحر
 شم الأنوف بساة المجد خير نبي
 سل اليزيديين أهل الفصل والمس
 من السلاذ إلى أخرى من المدر
 هم اللوث حماة الدين والوطن
 من غير ما فشل فيهم ولا حس
 قاتل (الأزد) أهل الحرب والطمع
 يكاد يسلم ما فيها من الس
 (محمد) الملك المصور بالسو
 من أرض نجد إلى صعا إلى عدن
 فقادهم بزمام اليمن والوسن
 ومن أتى محسا حازه بالحسن

= يجود بالنفس في الهيجا إذا حميت
 له قباب بطيب الذكر شبعها
 حدث ولا حرجاً عن كل منقبة
 تمشي الظمينة في أمن ببيتته
 الخيل والليل واليهاء شاهدة
 والحق والحلق من ناء ومقرب
 إن قال قوم له مثلاً فقل لهم
 قد صار كالشمس في وسط الظهيرة ما
 لا ما علمت ولا والله ما سمعت
 من ذا يساويه في بأس وفي كرم
 من ذا يعاهده ثم يحالفه
 فاحذر لصولته وافرح بطولته
 فيما مريداً حياء أو محاولة
 انظر إليه تجد من شأنه عجا
 كالحر راحته كالر ساحة
 أخو المطامع يلقاه بقلتها
 أجدى غله تر ذخراً في مخازنه
 لا يقتني غير لامات الحروب وما
 يبكي لبيته والرعب أربعة
 ويضحكون إذا لاقوه أربعة
 لا زال حظك مقروناً بأربعة
 ولا بليت في الدنيا بأربعة
 ودمت في الأمر محمواً بأربعة
 وقد رفقت عروساً بنت ساعتها
 بكرأ تزف إلى كعبه يكون لها

ويذل المال للعاقين في المحن
 له جناب رفيع لم يكن بدني
 حوى لها فهو ملء العين والأذن
 لو كان في صهبه خال من السكن
 والسيف والضيف والخط واليمن
 مع الشريعة قول (الله) والسن
 هل التحوم كمثل الدر في الحسن
 كانت مناشدة الركبان تخبرني
 إن قد فرى عقري فرية أذني
 ومن بناويه لا ينفك ذا حزن
 من ذا يكابره من ذا ومن ومن
 ولذ بدولته تنجو من المحن
 فني جناء الذي تبغيه فلتبن
 يفري الضيوف ويفري لبة الدغن
 كالسحب جودته تسهل بالزمن
 فينشئ وهو من بعد العطاء غني
 إلا قناطر شكر والثناء ثني
 يمدد للعدا إن بالقداء غني
 الكوم والقوم والعاصي وكل دني
 السيف والضيف والعاني وكل سني
 عز ونصر مع التأيد والمن
 القل والدل والعصيان والفتن
 السعد والمجد والإقبال واليمن
 تختال في حلل التحين والزين
 وللذي صاعها عوناً على الزمن =

وأقام ثلاثة أيام . وارتحل يريد بندر جازان لأن فيه رتبة من الترك . فلما وصل إلى (الواصلي) قرية من قرى وادي حازان وصله كبير الرتبة تحت النظر . وأرسل رتبة في قلعة بندر حازان^(١) . وتوجه قافلاً إلى مدينة (صبيا) . ودخلها بأبهة تملأ الأذن والعين بعد أن قصى من هذه الديار جميع الأوطار بهمة العالية وسعاده السامية . والله من قال في مثل هذه الحال :

همم الخطير جليلة الأخطار محمودة الإيراد والإصدار
وتعاضل الغمرات في أربابها تحري بحسب تفاصيل الأقدار
والناس مشتبهو الذوات وإنما ليس المعادن كلها بنضار
وجعل في أبي عريش الشيخ أحمد بن حسن^(٢) عاملاً عليه وعلى
هذه الجهات . وبعد أن دبر الأمور في هذه البلاد سار إلى السراة على حال يسر الودود ويغيط الحسود . وبعد انفصاله من هذه الديار استقل أحمد بن حسن بالأمر والنهي ولكنه كان في غالب الأحوال لا يتم له في

ولست أحرص أقوالى لائمها إلا عليك ولو سيف بن ذي يمر
لأسي من أناس ليس شأنهم تكسب بمديح كار أو هجن
فهاكها يا أمير المؤمنين بلا لوم عليك ولا من أو شر
واعذر فإن القوافي عودها حش واسي في القوافي مثل ذا خشر
ويغتنيك سلامي والصلاة على حبر السرية مأمور ومؤتمر
والال والصحب ماعت مطوقة وما تلاً لأ مرق من اليم
وما ترم دو شعر وقال لنا هيت بالنصر في عيش عليك هي

(١) قلعة بندر حازان بها الأمير علي بن مجتل وأكمل بها الأمير عائض بن

مرعي

(٢) أحمد بن حسن هو أحمد بن حسن بن خالد الحارمي

الناس مراد . ولا يبلغ من قصده ما أراد . غير مستعمل لحزم الأمر في المحافظة على قوانين الاستقلال . ولا مكدر لخواطر أحد من الرعية وإن شقَّ به الحال . فغالباً يجعل الإبرام والنقض في الأوامر بيد إخوانه . وهو مرخ للزمَام . مستسلم لهم أشد الاستسلام . معرضاً عن قول الشاعر وإنما رجل الدنيا وواحدُها من لا يعول في الدنيا على رجل

فمكث والحالة هذه في مدينة أبي عريش إلى آخر شعبان فبلغه وصول مركب فيه بعض أتراك مرسلين من طريق باشا اليمن للاستيلاء على بندر جازان ففزع إليه هو ومن معه من الأتباع . ووصل إليه جماعة من أهل صيبا . وكان مطرحهم في حوالي البندر المذكور . فأقبلت إليهم جنود الترك بعدة وعدد . وعزم لا يرده أحد . وانهزم أحمد بن حسن وأصحابه . وما جاء أول الليل إلا وهو بالمدينة . وضافت الأرض حتى أن هاربهم إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلاً . وهم تلك الليلة أن يرتحل إلى بعض المحلات . فلامه بعض العقلاء وأشار به برفع حقيقة الواقع إلى الأمير فاتبع ذلك القول . وما كان بأسرع من وصول جماعة من المسلمين . كبيرهم الشيخ علي بن محيي . وما وصل إلى قريب جازان إلا وقد رجع الترك منه . وصار فيه رتبة . فرجع إلى أبي عريش . واستقر بالقلعة التي فيه فقرت أنفس الناس . ولكن أحمد بن حسن مبطن الخلاف . واستقل بالأمر .

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً
ولكن سبقت عليه المنية قبل بلوغ الأمنية . وتوفي إلى رحمة الله تعالى . والله در القائل .

متى ما يكن مولاك خصمك لم تنزل تذلل ويصرعك الذي لا يصارع
واستقر الشيخ علي بن محيي مدة . وأعقبه وصول الشيخ
حنش بن مسفر . وصحبته ثلة نافعة من المسلمين . وكان المتولي على
المدينة محمد بن حسن بعد أخيه . ولكن الحال ما حال ولا استقر
لامارته قرار .

وكان ما كان مما لست أذكره فكن ليبيبا ولا تسأل عن الخبر
ولما رأى الأمير حال هذه الجهة غير منضبط لكثرة اختلاف أهلها
جرى بينه وبين باشا اليمن المفاوضة في الصلح واندمال هذا الجرح .
واقضى الأمر أن يكون من حدود (ضمد) مضافة إلى الدولة المتولي من
طرفهم باشا اليمن . والأمير على ما هو عليه من صيبا والمخلاف . واند
باب الخلاف . وحصل بهذا الصلح الائتلاف . ورفع الأمير الرتبة التي
بنظره من قلعة أبي عريش . وتسلمها وكيل باشا اليمن . وفي تاريخه
والأمر على هذا^(١) .

ودخلت سنة ١٢٨١ . وفيها حصل من بعض رجال ألمع بعض خلاف
لأنهم وصلوا إلى الشريف عبد الله بن عون^(٢) . وزوروا في الكلام . وتحرك
الشريف عبد الله إلى بندر القنفذة . وجرى بينه وبين الأمير بعض
مراسلات كانت غايتها أن الشريف عبد الله عول على الأمير أن يعفو عن

(١) ولكن هذا الصلح لم يطل إذ وقع الخلاف بين عامل الأمير محمد علي (المخا) وهو
محمد بن مفرح بن عبد الله وبين الأتراك الذين أراعوا الكيد للأمير محمد ما شغاله ببعض الفتن
لذا بدأ القتال

(٢) الشريف عبد الله بن محمد بن عون . هو زوج ابنة أخت الأمير محمد بن عائص
إذ أن أخت الأمير محمد (عائشة) بنت عائص قد تزوجها عائر بن عرم العسلي فتحب له
(سالعة) وقد تزوجها الشريف المذكور . وهي أم أولاده

من نشأ منهم الخلاف . ولا يعاقبهم بشيء على ما سلف منهم . فاستعد
الأمير بذلك نظراً إلى قول الأول :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلین
ولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن من فوي الجاه لين

وبعد ذلك رجع كل منهم إلى بلاده . وما زال الأمير على هذا الحال
الجميل . يتفياً ظلال الإمارة في البكر والأصيل . يسد الأحوال .
ويرفع الظلمات عن أهل الشكايات . والوفود تفد إليه من كل
الجهات . وعطاياه هائلة على الناس لأنه في الكرم غيث هامع . يستوي
في سببه الداني والشاسع . فارتفع بذلك له قدر وتفخيم . وانتصب له
كرسي المجد بالعمز والتعظيم . فهو من الأبطال الأمجاد . وقد لباه لسان
السعادة بالإسعاد . والصرح الممرد بالكمال المعاني . واقتفاء الملك
السليمانی . وهو الكريم الذي لا يوضع من الأناسي إلا في العيون . ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . وفي أثناء ذلك نجم من رجل يقال
له ابن راجح خلاف . وهو ممن يئسى المعرفة . وذلك أنه استخف سفهاء
من أهل جهته فأطاعوه . وبعد ذلك استولى الأمير على تلك الجهة وقطع
عرق الفساد . وأودع ابن راجح حبس (مسلية) عقوبة له على شق عصا
الطاعة . وأعفاه من القتل . ولكنه مات في الحبس . وكيف تطيق العتز
أن تنطح الصفا . ويبعد أن يقوى الزجاج على الصخر . وقد أفصح عن
هذه الحال بعض الشعراء فقال :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه مالا يرى

ولما حصل من أهل جبل يسمى (القهر) في بلاد (الريث) تعرض في الطرقات توجه إليهم الأمير بجنود لا قبل لهم بها^(١) . وكان الجبل صعب المرتقى . ولكنه حاصرهم حتى استولى على الجبل . وقطع رؤوس جماعة من كبارهم . وهم رأس أهل الفساد . وبعد ذلك خمدت نارهم . وتركوا التعرض لما لا يعنيههم . ولقد خاطبه لسان الحال بقول من قال

أطاعك إذعانا لهيبك الدهر وقابلك الإحسان والفتح والنصر
ولست تها بالذي أنت نائل لأنك للدنيا وساكنها الفخر

ومن كمال عقل هذا الأمير وحسن سياسته أنه وقع بينه وبين باشا مصر^(٢) المكاتبة وانعقد الصلح بينهما . ووثق له الكلام من طريق السلطان عبد العزيز . وأغاظ بذلك أهل الأغراض والمقاصد . وانسد باب الفتنة عليه من طريق الأتراك . وصارت جميع بلاده من منتهى غامد وزهران إلى غاية بيشة إلى أطراف صيبا إلى حلي بن يعقوب وتلك النواحي لا معارض له فيها ولا منازع بل هو نافذ الأوامر . شديد القوة . عظيم السطوة . قد خضع له كل معاند . وذل عن مناوئته الأقارب والأباعد . واليوم هو أعظم أعيان القطر اليماني سلطاناً . وأرقهم شأناً . وأوسعهم بلاداً . وأكثرهم أجناداً . ولم تزل الهدايا بينه وبين باشا مصر تترى في كل عام . وهي التي تسل السخيمة . كما ورد عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام . والله در القائل :

(١) قاد الحملة التي سارت إليهم أخوه الأمير سعد بن عائض . على حين مقي هو في أبي

عريش

(٢) كان باشا مصر آنذاك الحديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا

إذا كان عون الله للمرء شاملاً . تهيأ له من كل شيء مراده
 وإن لم يكن عون من الله للفتى . فأول ما يجني عليه اجتهداه
 ولما دخلت ١٢٨٠^(١) نزع الشيطان في فرقة من رجال ألمع أن تعدوا
 طورهم بإظهار الخلاف على الأمير^(٢) . وأرادوا زحلقته عن ذلك المقام
 الخطير . وقد علموا أن دون ذلك خطر القتاد . وتثلم المشرفي في
 الرؤوس . وتكسر الصعاد . ممن تعادى في البغي والعناد . وشق عصا
 المسلمين بالفاد . لأنهم استخفوا رجلاً ساكناً في بلادهم من السادة
 النعمانية ليس له خبرة بالأمور ولا معرفة بالأوامر والنواهي . وليس
 لأهله سابقة في الأمر . بل هو رجل ضعيف يحترف بالتجارة . فنصبوه
 إماماً لهم . فطاوعته لمساعدتهم النفس الأمارة . ولم يزل الفساد ينتشر في
 أطراف البلاد . وكُتِبَ الإمام المخدول تترى إلى تهامة وغيرها . واغتر
 بذلك ضعف العقول . فوقع من لا نظر له في العواقب في المخدور من أهل
 تهامة وغيرهم . وهم ومن نصبوه للإمارة يتهددون الأمير ويرعدون
 ويرقون بما هو عنده طنين ذباب . وأي عاقل يغتر بالسراب . وشاهد
 الحال للأمير قول من قال :

يا ذا الذي بقراع السيف هدداً لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
 قام الحمام إلى البازي يهدده واستنطقت لأسود البر أضغه
 أضحى يصدفم الأفعى بأصبعه يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه
 والأمير لم يحرك ساكناً لهذه القعاقع التي هي كسحابة صيف عن

(١) وقع خطأ والصحيح ١٢٨٢ هـ

(٢) كل هذه الحركات كان الأتراك من حلفاء لإصعاف شان الإمارة

قليل تقشع . وبرقها خُلب لا ينشأ عنه غيث هامع . وهو يدبر الأمور في
إزالة هذه المفسدة من أولئك الأقوام . ويتأهب لقمع شوكتهم في الليالي
والأيام . وبعد ذلك زحف عليهم بجنوده . بل قدم طائفة من الأجناد .
مقدماً فيهم الشيخ سعد بن عائض . وبوصول الأمير إلى بلادهم استعدوا
للقتال . فأقدم على جمعهم . وناوشوه بالحرب . ولكن فلَّ الله تعالى
شوكتهم . وما كان بأسرع من أن ولوا الأدبار . وحقَّ عليهم الفرار لأنه
صدمهم بجيش هو غرته . ويجمع منصور لا تتقى معرفته . وحينئذٍ أسرع
الفوارس خرصانهم . وأرخوا أرسانهم

وفي أكفهم النار التي غبدت قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم
هندية إن تصفر معشراً صفروا بحدّها أو تعظم معشراً عظموا
ومع الاختلاط والاشتباك . ولقح ما بين الفئتين الاعتراك .
اكتست الرماح من أقذاح الرؤوس المغلفة . وفاضت أرواح من البغاة
ما أظنها في أجواف طير خضر معلقة . وبعث طائفة من الأجناد ليكون
مطرحهم قريباً من قرية (الدرب) لأن بعض بني شعبة اتصل
بالبغاة . فكان بعض اختلاف بين كبير الجند وبني شعبة . وانتهى
الأمر أن جرى بين الفريقين قتال . وقتل من الجانبين من قتل . ولما بلغ
الأمير أغضى عن المتابعة عن الفريقين . ورأى أنهم قد تكافؤوا بما
أرخصوه في ذات بينهم من الدماء ولله در القائل :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يُصاب فقد ظنَّ عجزاً
وأُشدَّ لسان حال الإمام :

وإني على أشياء منك تريني قديماً لذ وصفح على ذاك أحمد
ولما استولى على رجال ألع ومن نصبوه إماماً لهم بذلوا الطاعة .
وأيقنوا أن لا طاقة لهم على مقاومة من اختاره الله تعالى خليفة على عباده
وأخرب الحصن الذي كان منه فتح الحرب حتى صار أثراً بعد عين .
وندموا على ما صار منهم من المخالفة . والبغي مصرعه وخيم . وصاحبه
غير ماش على الصراط المستقيم .

يا صاحب البغي إن البغي مصرعه فاعدل فخير فعال العبد أعدله
قلو بغي يوماً جبل على جبل لانهذ منه أعاليه وأسفله

فكيف البغي على من استقرت له الإمارة ببيعة الخاص والعام .
وصار نافذ الأوامر والنواهي على مدى السنين والأعوام . فقد نص على
البغي على إمام الحق من الفسوق . ولكن مع رجوع القوم إلى الصواب
والدخول تحت الطاعة هو في مقام التوبة على ذلك الفعل القبيح . وباب
المتاب للمسلم مفتوح . ووصل الأمير إلى قرية الدرب . فاستباح الأجناد
فيها السلب والنهب . وأخربت حصونها . وكشفت مستورها ومكنونها .
وأحرق ما فيها من المساكن . حتى تكدر صفوها الذي كان غير آسن .
وبلغ إلى نحو قرية أم الخشب . وفعل بهم الأجناد ما فعل بالدرب .
وأمر أهل القريتين بالانتقال عن أوطانهم . فارتحلوا . ومن طلب الأمان
وسلم الطاعة بذل له مطلوبه . وهذا الأمير لشدة شكيمته . وقوة عزيمته
لا يذعره الوعيد . ولا يرهبه لمعان صفائح الحديد . فشأنه كما قال
الشاعر المجيد :

يفشى الأمور إذا تعاضم خطبها برداء ذي حبك وغشم مخاطر
يجلي بفرته العماء ويستقي ماء الفمام بجوده المتكائر
والأفقد اغتر بهذه الدعوة الخاسرة كثير من أهل السراة وتهامة .
وافترضوا بما فعلوا من تلك الأمور التي عاقبتها غير محمودة . ولولا أن
الأمير كما وصفنا لتبльд عند هذا الواقع . ولكنه ازداد شدة بالإقدام على
هذه المدهمات الفواجع . واستندل كل مخالف . وعرف كل عاقل أن
ما جرى غير تام لأهل الأغراض . وأن الباطل عاقبته الزهوق
والادحاض . وأن جند الحق هو المؤيد بالنصر والتوفيق . وحزب الباطل
مخنول وإن سلك أي طريق . وأما أمير الفئة الباغية فبتر عمره .
وانتضى أمره على يد بعض الأجناد^(١) ولله در القائل :

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكاً جنوده ضاق عنها السهل والجبل
وكان لهذه الواقعة عند جميع الناس موقع عظيم . فرسخت هبة
الأمير في جميع أهل الإقليم . وارتحل إلى السراة وقد خضعت له رقاب
المباد . وتمهدت لعظيم سطوته البلاد . ولم يهّم أحد بمناوئته ولا
معاداته من أهل القرى ولا من أهل السواد . وسار ذكره بحمد فعله مسير
الليل والنهار . وحدا الركبان بالثناء عليه في جميع الأقطار . وقيل في
هذه الواقعة كثير من الأشعار . منها قولي :

بسمر العوالي والسيوف الصوارم يقوم شعار الدين بين العوالم

(١) قتله يحيى بن علي العيني شيخ قتائل بني زيد حيث كُلف بمطاردته . وقد قبض
عليه في مكان يقال له . ريم الصوتع .

ومن قد درى ما قد جرى في زماننا
هم أمروا الدين الحنيف ببيهم
فقام بتطويع الرعاع بنفسه
محمد السباق في كل غاية
لمعز الورى قدراً وأنداهم يداً
ومن ركب الأخطار في طلب العلا
ومن ظهرت في كل أرض على الورى
ومن ألقى الغلب الجحاح امرها
أقر له كل الأنام وأذعنوا
فلا غرو أن جلى على كل طالب
وما زال من سن الطفولة مولعاً
فذل له الباغون في كل بلدة
وألجأهم أن يطلبوا السلم ذلةً
ولو شئت لم تفعل ولكن رحمةً
بنيت الذي هتوا وأخربت ما بنوا
فكنت عصا موسى تلقفت سحرهم
وأرغمت أنفأ منهم فتركهم
فشكر الرب العرش حيث أثابكم
فما ذاك إلا فعله وهي سنة
قدم ساعياً لله في نصر دينه
واعمل حدود الله في كل حائذ

من البغى لا يصفى للاج ولائهم
وهم أخربوا ما شيدت من معالم
أبو المجد حاور للعلا والمكارم
لهيئته تمنو وجوه الضراغم
وأقواهم جاشاً لدفع العظام
ولم يأل حتى قادها بالخراطم
فضائله في نجدها والتهاشم
إليه فأمسى وهو مولى المكارم
بسبق علاه في حديث وقادم
لنيل العلا من كل أصيد قائم
بشيد المعالي واكتساب المكارم
فصيرهم في مثل حلقة خاتم
وأخرجهم منها بذل الهزائم
تعودتها من فعلك المتقادم
من الكيد فارتدت كأضعاف حالم
برأي متين منك للداء حاسم
يعفون من غيظ رؤوس الأباهم
بما نلتهم نصراً على كل ظالم
له قد خلت في أخذ أهل الجرائم
وجرد له بالجد ماضي العزائم
عن الحق لا تشيك لومة لائم

فما عوقبتُ إلا بإهمال شرعه	ملوك مضوا بالحادثات القواصم
فاصلح أمور الخلق واجبر مصابهم	بانصاف مظلوم وإبعاد ظالم
وسر في الرعايا سيرة مستقيمة	تسير لكم أخبارها في المواسم
وابق لك الذكر الجميل ولا تمل	إلى كل ذي زيغ عن الحق أثم
ودم في نعيم وافر الحال ما شدت	على شجرات الأيك ورق الحمام
وصل إلهي كل وقت مسلماً	على المصطفى والآل أهل المكارم

وهذه قصيدة أخرى تهنئة له بالنصر . ومدحاً لمن جمع بحسن فعله
المجد والفخر . وفاق بمناقبه العلية أهل العصر .

ليس العلا نصراً به ابتسم الدهر	وقد كان لا يفتّر قدماً له ثغر
وأشرق وجه المجد بعد عبوسه	وقرت عيون الملك وابتهج العصر
ألا هكذا من رام فخراً ورفعة	والا فلا كان السمو ولا الفخر
على مثل هذا النصر يستحسن الثنا	والا فلا كان المديح ولا الشعر
وذاك بنصر الإمام إمامنا	بأفعاله يستحسن النظم والنثر
هو الفارس الكرّار في كل وقعة	شجاع له في كل معركة ذكر

هو الليث بل ما الليث في حومة الوغى

وما عنتر يوم الطراد وما عمرو	كريم سوى ترك الندى لا يسوؤه
لديه الردى عيد ولكنه النحر	أعز الهدى لله عزم سلته
حساماً وجيشاً أنت عيناه والصدر	شنتت به الفارات حتى كأنها
أطاف بها الطوفان أو حشر الحشر	

أسود قتال من (مفيد)^(١) و (علکم)^(٢)

يسايرهم نحو العدا الذئب والنسر
واخوتهم (ربيعة) ورفيدة^(٣)

و (مالك)^(٤) قدماً قيل هم مالك الحشر
يها بهم حتى الجماد لو أنهم
وليس لديهم بعض هيتك التي
وعز الهدى قد صار واسط عقدهم
همام هنى من كفه وحسامه
يجد على أخذ العدو بعزمه
إذا رمت تعداد الصفات وحصرها

يقول النهى عجزى هو الترك لا الحصر
لقد نلت يا نجل الأكارم سودداً
ورأيك بالأعداء يا نسل عائض
هدرت كؤوس الموت نحو عدوكم
يرون الوفا ترك الوفا بمعودهم
فأفانيت أهل البغي يا خير قائم
وأنا لنرجو أن سيف انتقامكم
بأفق فخار ما سواك له بدر
ليفعل ما تفعل البيض والسمر
تركت العدا صرعى وليس بهم سكر
وأخبت خلق الله من شأنه الفدر
وهذا جزا من شأنه البغي والمكر
به للعدا كسر وللأصفياء جبر

(١) مفيد ، قبيلة في السراة حول مدينة ابها .

(٢) علکم ، قبيلة في السراة شمال معبد . وهاتان القبيلتان (بنو معبد) و (علکم) يطلق
عليهما ولد أسلم بن عمرو بن شمالة الشوي من آرد شنومة . وهي شوكة عير والكثرة

(٣) ربيعة ورفيدة ، قبيلة في السراة . وأصلهما قبيلتان تحالفتا معا ، فربيعة بن عمرو بن
عالم . وهو أخو ألح والصبيح . ورفيدة بن كلب بن وبرة .

(٤) مالك ، قبيلة في البراء وتنتمي إلى مالك بن عبد الله بن نصر .

وصل على مسك الختام محمد نبي الهدى من باسمه نطق الذكر
وهذه قصيدة ثالثة ، وهي بالمديح والتهاني للإمام نافذة . وقاء الله
تعالى من كل سوء وحادثة .

تَبَسَّم ثَغْرُ الْمَجْدِ عَنْ شَنْبِ الْفَخْرِ	وَلَا حَتَّ نَجُومِ السَّعْدِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
وَأَشْرَقَتْ الْآفَاقُ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ	وَأَضْحَى شَعَارُ الْبَغْيِ فِي غَايَةِ الْقَهْرِ
وَنَالَ أَبُو الْهَيْجَا بِذَلِكَ رَفْعَةً	عَلَتْ فِي تَسَامِيهَا عَلَى هَامَةِ الْبَدْرِ
سَمِيَّ نَبِيِّ اللَّهِ فَخْرَ زَمَانِنَا	وَقَائِدَ جَيْشِ الْحَرْبِ فِي الْمَوْقِفِ الْوَعْرِ
وَمَنْ صَارَ لَيْثًا فِي الْمَعَارِكِ كُلِّهَا	وَخَيْرَ فِتْنَى قَدْ صَالَ بِالسَّمْرِ وَالْبَتْرِ
لَقَدْ خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ وَبَنُودُهُ	عَلَى رَأْسِ أَهْلِ الْبَغْيِ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ
وَحَامَتْ عَلَى أَشْلَانِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ	حَوَائِمُ أَطْيَارِ الْحِدَاةِ مَعَ النَّسْرِ
وَقَدْ عَانَدُوا فِيمَا أَتَوْا مِنْ شِقَاقِهِمْ	فَقَابَلْتَهُمْ فِعْلًا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
لَوَى الْعُسْكَرُ الْمَنْصُورُ بِالْقَوْمِ فَافْتَدَتْ	نَفُوسُهُمْ نَهْبَ الْمُثَقَفَةِ السَّمْرِ
أَذَقَتْ الْمَنَاوِي مِنْكَ كَأْسَ مَنِيَةِ	أَحَاقَ بِهِ فِي الْبَغْيِ عَاقِبَةُ الْمَكْرِ
كَفَى عِبْرَةً لِلْمُعْتَدِينَ فَعَالَهُ	بِهِ صَارَ يَدْرِي كَيْفَ عَاقِبَةُ الْفَدْرِ
يُظَنُّ الشَّقِيَّ أَنَّ الْمَعَاقِلَ جُنَّةٌ	وَكَيْفَ يَنْجِي الْقَصْرَ مِنْ هَادِمِ الْعَمْرِ
وَمَا قَدَرُوا أَنَّ الْقُصُورَ وَإِنْ عَلَتْ	مَعَ الْقَدْرِ الْمَحْتَوَمِ جَالِبَةُ الشَّرِّ
فَأَبْرَزَهُمْ نَحْوَ الرَّدَى حَاتِمُ الْقَضَا	مَعَ رَصْدِهِ فَعَلَ النُّجُومُ وَلَمْ يَدْرِ
كَذَا عِبَادَةَ الْخِلَافِ فِي كُلِّ ظَالِمٍ	تَعْدَى حُدُودَ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
نَهْنِيكَ يَا مَوْلَى الْفَضَائِلِ عَنْ يَدِ	

بِمَا نَلَتْ بَعْدَ الصَّبْرِ ، وَالنَّصْرَ بِالصَّبْرِ

فأنت عديم الشبه في موقف الوغى
وقد نلت ما قد نلت مسعادة
وانك سيف للجهاد مجرّد
وقد صرت شمساً في البلاد مضيئة
بسميكم الميمون قد أصبح الورى
وأمنت فيهم خائفاً متظلماً
وان بك القطر اليماني قد زها
قدم في مباني عزك الشامخ النرا
وكن شاكراً لله في كل حالة
وانا على الحالات نحمد ربنا
وأعظمها إذهاب كل معانيد
وان الذي قد سرّكم فهو سرّنا
ولا زلت منصور اللوا في سعادة
وصلّ إله العرش ما لاح بارق
وكذا أله أهل المعارف والنهى
وأصحابه الغرّ الكرام ومن لهم

تصرّع للأبطال من غير ما فعر
قضت أنك المقدام بين بني الدهر
تجرّع أهل البغي من كأسه المرّ
تثير على أهل البداوة والحضر
على حالهم يسمعون في البر والبحر
ونال الذي يهوى بأيامك الفرّ
وفاخر من فيه على ساكني مصر
تمد ثياب العدل في ذلك القطر
تري النعم الغرّا تقيّد بالشكر
على نعم عظمت تجل عن الحصر
تبوأ من بعد الترفع بالخسر
ونحن على الأنس المقيم وفي البشر
تجود على العافين من سيبك الوفر
على الشافع المختار في موقف الحشر
ومن فضلهم قد فاق للأجم الزهر
وقائع صدق في حنين وفي بدر

والى هنا انتهى ما تيسر من وقائع الإمام . وما جرى به قلبه التعبير
من مناقبه التي فاق بها الأنام . فإنه - مع الله بحياته - نفقت لديه
سوق الفضائل بما أحرزه من العلوم والديانة . وأضحى له وقتاً هذا
يزهو . وكأن الزمان ليس زمانه . لأنه جدّد دارس الكرم . وأعد على
العافين صيب الكرم . واستبقى زمام الآداب التي أشرف وجودها على

العدم . وأنعم النظر في سائر العلوم على اختلافها . واحتوى على أنواع الفضائل لا متشعباً بأهدابها بل جامعاً بين أطرافها . فما أخره عن مشاركة من تبسط له الملائكة أجنحتها من أهل العلم كونه رب السيف . والجنة تحت ظلال السيوف . ولا شغله عن مصاحبته لكتب العلوم ما هو بصدده من مقارعة الكتائب ومهاجمة الألوف . فهو البحر لا حرج على من حثث عن عجائبه . والبدر لا فرق بين ظهور ذاك في حالة كواكبه . وهذا من دارة مواكبه .

فالدين منتصر ليوم جلاده	بشبا أسنته ويوم جداله
والملك منتظم بما نشرته من	هام الأعادي مرهفات نصاله
والعلم مشتهر بما يأوي من الع	لماء والفضلاء تحت ظلاله
والجود منهمر بما يولي الورى	من فيض أنعمه وفضل نواله
والعدل منتشر بما يخشى الذي	يفشى المفسد من وبيل نكاله
والفضل منحصر به في بعض ما	أغنى الأوائل من شريف خلاله
فلذاك فاق بفخوره وبذكره	في الأرض مرتفعاً على أمثاله

وبالجملة فمحاسن هذا الإمام إذا نشرت تعطر الأندية بنشر ندها . وإذا ذكرت كان الوقوف واجباً عند حدّها . أدر الله عليه أخلاف النعم . كما أقر الله لديه أصناف الكرم . وحرسه بعينه التي لا تنام . حتى يكون بابه مورداً للأنام . وهتك ستور الجهل بعلمه الذي هو في العالم غلم . وأدام لنا نعمة وجوده . كما أدام لنا فيض فضله وجوده . فوجداننا كل شيء بعده عدم . وهذه النبذة المشتملة على بعض مناقبه خللتها في هذه الأوراق ليكون له بها الذكر الجميل في جميع الآفاق . وهي مدونة

على مرور الأزمان ، فإن ذكر الإنسان عمر ثاني بلا تكران ، ولأنه قد أسدى إليّ من المكارم ما يوجب له علي الشكر . ولم يشكر الله من لم يشكر الناس . فأنطقني جوده المتتابع . وألها تفتح ألها من غير التباس والا فغيره لا أبذل له نبات الفكر . ولا أتقرب إليه بقرض الشعر . وأما هذا الإمام فله الفضل عليّ بعد الله تعالى . ولم أر مكافأتي له بما ينطق به اللسان من بديع البيان الذي يبقى إلى آخر الزمان . فله دره من ماجد يملأ العين بهجة . وصار وجوده على الناس حجة . هنيئاً له بما حاز من المعاصر . التي سبق بها الأوائل والأواخر

تهنأ بمجد بل يهنأ بك المجد	إذا لم يكن عن واحد منكما بذ
فإنك للمجد المؤثر رأسه	وغرته والعين والكف والزند
وأنت الذي تولى جميل مواهب	شمايله من غير وعد بها وعد
وشمس المعالي والمعاني ويدرها	المنير إذا ليل المعارف مسود
تحير ذهني في محامدك التي	هي المجد لولا مجدها لم يكن مجد
رأيتك في تاج الأفاضل درة	وواسطة في عقده إن له عقده
وجدتك سيفاً لا أقول مهنداً	وهل عربي حامت أقطار الهد
فأنشدت شعرا بن الحسين لأنني	مطوق جيد بالندي أفلا أشدو
وقد كان في يوم الخميس عليّ أن	أقود خميساً من نظامي به أحدو
فيا ليت بي من ترب فكري لؤلؤاً	ومسكاً فيهديه إلى السيد العبد
وما في حلامي الصفا جيد لؤلؤ	ولا في طباع التربة المسك والنند
وما كل ما تهوى الحواطر ممكن	ولكن هذا جهد من لا له جهد
إليك قصيداً لم تكن من كميتها	إلى أحد إلا إليّ بها القصد

لَسَامِر غَادَاتِ الْقَرِيضِ لَعْنَتِي لَسَارِقَهَا دَرَأَ عَلَيْكَ بِهِ أَغْدُو
تَمْلِكُنِي مِنْكَ الْوُدَادُ وَلَمْ أَكُنْ لِفَيْرِكَ حَزَقٌ قَدْ تَمْلِكُهُ الْوُدُ
فَأَثْمَرُ إِدْلَالًا فَمَنْ ثَمَرَاتِهِ تَوْهَمُ تَغْظِيهِ إِنْ أَزْهَارُهُ وَرْدُ
جَمَعْتَ الْمَعَالِي إِذْ مَنَعْتَ سِوَاكَ عَنْ دَخُولِي حِمَى مِنْ دُونِ أَجَامَةِ الْأَسَدِ
وَأَحْيَيْتَ أَثَارَ الَّذِينَ تَقْتَمُّوْا مِنْ الْقِدَمَاءِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ رَقُودَا
فَمَا فَاتَنَا شَيْءٌ لِسَبْقِ زَمَانِهِمْ لِأَنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

أدام الله أيامكم الشريفة العالية منبعاً لكل نائل . ومنتجعاً لكل
أمل . وحرماً آمناً تجبى إليه الآداب والفضائل . والله يصون مجدكم
العالي من حوادث الزمن . ويحفظ ذمماء الآداب ببقاء شخصكم الذي إن
لم يكن لها فمن ؟ ولولا عراقة مودة الحقير لما فاه بهذا الملتبس . ولا أقدم
من قصوره على هذا التأليف . وتطويل النفس . ولكن وجدت القول ذا
سعة . فأنشأت هذه الألفاظ المبتدعة . ومع هذا فإن أومل من الإمام بسط
الأعذار وأن يستر بجميل حاله ما يراه من الخلل والعوار . جعل الله
مشارك أنواره مطالع الفوائد وبوارق أفكاره مجمع جميل العوائد . وأبقاه
ركناً لأهل الإسلام . فهو الحافظ بيضة هذا الدين المحمدي من البغير .
فلذا بالعدل ذكره انتشر . وصارت مناقبه جمال الكتب والسير . والله
يوفقنا وإياه إلى مرضيه ويجنبنا معاصيه . ويجعلنا من المتحابين فيه
أمين اللهم آمين .

توفي المؤلف عام ١٢٨٦ هـ ومحمد بن عائض في أوج عهده وازدهار دولته ، إلا أن محمداً قد رأى أن الأمر لا يستقيم له ما بقي الأتراك في المنطقة . إذ هناك من يساعدهم في تهامة . لذا قرّر إخراجهم من المناطق التي ينزلون بها . وجمع حشداً لذلك . وسار إلى تهامة وبعد مفاوضات مع الأتراك في (صبيا) خرجوا منها . فتابع سيره إلى (الحديدية) . وحاصرها . وأثناء الحصار بلغه أن الأتراك قد نزلوا في (محايل) في الشمال . كما أن حملة أخرى قد جاءت من مكة . فاضطر إلى ترك الحصار . وأرسل من يفدّص الأتراك فوصعت الحرب أوزارها مدة سنة كاملة .

قررت الدولة العثمانية غزو عسير بقوة كبيرة تأتيها من الجهات جميعها . من حدة . والطائف . وبيشة . وسعاء . إلا أن العسيرين بقيادة أميرهم قد وقفوا في وجه هذه الحملات وهزموها في عدة مواقع الأمر الذي جعل السلطان عبد العزيز يأمر بإرسال قوات كثيفة وتجهيرها بالعتاد الكامل إذ رأى أن المنطقة التي بقيت صامدة في وجه الدولة هي إمارة آل عئض وحده . وهي في توسع دائم وخططت القيادة العسكرية بأن يُشعل الأمير محمد بن محمد بن علي حين تتقدم القوات العثمانية من الشمال .

تقدّم الأمير محمد في الجنوب وأوشك على تخليص (زبيد) و (المخا) من الأتراك وبسما هو في ذلك الموقف الناجح إذ بالقوات العثمانية مع قبائل "حدر" تتقدم من الشمال . فتعرضت لها قبائل المناطق التي تحض لآل عئض ووقفته . ولكن الكثرة أحياناً تتفوق على الشجاعة ذات القلة واضطر الأمير سعيد بن عئض أمير بلاد غامد

وزهران إلى التراجع . ولما اقترب من أبها أخبر أخاه محمداً بما حدث فاضطر إلى العودة . وقبل ارتقائه السراة وجد الأمر غير طيبمى إذ تمركزت قوات الأتراك في أكثر قرى عير ما عدا قبائل (بيشة) و (سبيع) و (البقوم) و (الدواسر) و (قحطان) في الجهة الشرقية والشمالية من عير إذ صمدت في وجه الترك بقيادة مشايخها (ابن محي الموركى) و (أحمد بن ضبعان) و (ابن سحمان) و (ابن شعلان) وغيرهم بالإضافة إلى القوات التي انضمت مع ناصر بن عائض في (أبها) وهي (يام) و (سنحان) و (وادعة) و (همدان) بقيادة مشايخها (محمد بن وليم بن شايح الشريفى) و (فلاح بن راكان بن حثلين الميعضى) و (محمد بن هادي بن قرملة السحيمى) .

ولما علمت القبائل اليمنية التي كانت تحت حكم محمد بن عائض أنه انسحب من جهاتها مضطراً إلى الشمال بدأت تشور ضد جيشه لتحقيق بعض مصالحها الأمر الذي جعل الجيش العسيري يقاوم الأتراك في الشمال . ويتعرض لحركات القبائل اليمنية في الجنوب

عقد الأمير محمد بن عائض اجتماعاً في (السقا) . ووزع القوات على الجبهات المختلفة . واتخذ قاعدة له في (ريده) لمناعتها . ثم سار على رأس قوة إلى عقبة (شعار) .

بدا التعب على قوات ابن عائض لكثرة القتال . ومرض الطاعون الذي أصاب الجند في (الحديدية) . وبدأت قواته بالتراجع . وانسحب

هو إلى (السقا) ومنها إلى (الحفير) ثم إلى (ريذة) قاعدة حكمه . واستمر القتال مدة . ثم أخذت المفاوضات مجراها بين الطرفين . إلا أن الأتراك قد غدروا به بعد أن أعطوه الأمان . وقرروا قتله ومن معه من أسرته وأعوانه . وعرف سعد بن عائض بالأمر . وأفهم أخاه بذلك . فلما تأكد له أسرع بطعن محمد رديف باشا القائد التركي بمدينة كانت معه فسقط على الأرض . وحمل لينقل إلى (استانبول) ولكنه مات في الطريق . ودفن بميناء (الشقيق) . وهجم في الوقت نفسه الجند بعضهم على بعض فقتل الأمير محمد وأخواه سعد وعبد الله وعدد من كبار أنصارهم . وحمل الأتراك أعداداً من الأسرى إلى استانبول وذلك عام ١٢٨٩ هـ .

استولى الأتراك على عسير إلا أن سيطرتهم لم تكن لتتجاوز القلاع والحصون وبعض المدن . أما السيطرة الفعلية على خارج المدن . وخضوع رجال القبائل فكان لآل عائض . حيث كان الحكم الفعلي لناصر بن عائض (١٢٨٩ - ١٢٩٥) إذ كان مرابطاً في أبيها أثناء حصار أخيه في (ريذه) ثم حادثة مقتله ودخول الترك إلى مقر حكمه . وبقي ناصر ينازل الأتراك حتى قتل عام ١٢٩٥ هـ . قال الأمر من بعده إلى أخيه عبد الرحمن (١٢٩٧ - ١٣٠٥) فقاتل الترك . ثم فاوضهم بوساطة أخيه سعيد الذي تجنب القتال . وعين عبد الرحمن معاوناً لمصرف عسير . وبقي حتى مات عام ١٣٠٥ هـ . ولكن علي بن محمد بن عائض لم يرض بصلح عمه عبد الرحمن فاعتصم بـ (حرملة) . وهاجم الترك عام ١٣١٨ هـ . وانتصر عليهم في عدة مواقع . وبقي الأمير الفعلي حتى

توفي عام ١٣٢٤ بعد إصابته برصاصة أثناء حصاره مدينة (أبها) . وفك الحصار عن (أبها) وأسر أكثر آل عائض . وحملوا أسرى إلى صنعاء . ثم أعيدوا إلى (أبها) . وعيّن الأمير عبد الله بن محمد بن عائض معاوناً لمُتصرف عسير برأي السلطان عبد الحميد .

وفي هذه الأثناء تأسست الإمارة الإدريسية في (صيا) . ولعب صاحبها دوراً كبيراً في أحداث المنطقة لتنقله من جبهة إلى أخرى . وتعاونه في الطليان ثم تعامله مع الانكليز .

حصل خلاف بين متصرف عسير التركي ومعاونه الأمير عبد الله بن محمد بن عائض . فعاود آل عائض حصارهم لمدينة (أبها) . وتوفي عبد الله بن محمد وتسلم زعامة آل عائض ابن أخيه حسن بن علي فحاصر (أبها) ثمانية أشهر . وساعده في ذلك الإدريسي لأغراض في نفسه . كما شارك في الحصار الشريف (الحسين بن علي) أمير مكة وشريفها . وقد خطط لهذه المشاركة الأمير حسن بن علي آل عائض إذ فكر بإخراج الأتراك من عسير فرأى من الأفضل أن يكون الحسين بن علي شريف مكة والإدريسي مشاركين له في الحصار من أن يستفيد منهم الأتراك ويكسبوههم إلى صفهم .

أسرع الإدريسي في النجدة قبل وصول الحسين بن علي من مكة لتحقيق ما في نفسه من السيطرة على المنطقة . وتأخر الحسين بالقدوم ليرى النتائج التي تسفر عنها عملية الحصار . وفي نفسه القيام بثورة ضد الأتراك . ولاختلاف النوايا وقع الخلاف بين الأحلاف . وفك الحصار عن مدينة (أبها) بأمر الحسن بن علي آل عائض وبتدخل الشريف

أمير مكة . وبدأت المفاوضات . وعيّن الأمير حسن بن علي معاوناً
للتصرف عسير .

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى . وقاوم الشريف الحسين بن علي
بشورته على الأتراك في الحجاز . وقرر الأتراك الانسحاب من عسير .
وأعطيت المنطقة لأمرائها الأوائل وزعمائها الحاليين وهي آل عائض .
وأصبح الحسن بن علي أمير عسير ١٣٣٦ هـ .

لم يرق للحلفاء وخاصة انكلترا بقاء إمارة آل عائض في عسير حيث
رفض زعمائها التعاون مع انكلترا على حين أن بقية الإمارات القائمة في
المنطقة كلها قد وافقت على ذلك . وقطعت أشواطاً في هذا المجال .
وحصلت على مساعدات ودعم . ونالت التأييد .

خُرِضَت الإمارات المجاورة على إمارة آل عائض فزالَت بعد قتالٍ
بينها وبين آل سعود في نجد . في الوقت الذي كانت نار الإدريسي
موجهة عليها من تهامة وكذا نار الإمام يحيى من جهة الجنوب وكانت
نهابيتها عام ١٣٤٢ حيث أصبحت جزءاً من أراضي ابن سعود ثم منطقة
من المملكة العربية السعودية التي تأسست بعد مدة . وهكذا انتهى حكم
آل عائض من عسير بعد أن دام ما يقرب قرناً من الزمن (١٣٤٩ - ١٣٤٣)
ويعُدّ امتداداً لحكم آبائهم الذين دانت لهم المنطقة ما يقرب من أحد
عشر قرناً . وكانوا هم تاج المدة كلها . ومفخرة عسير في تاريخها
الطويل



المحتوى

الموضوع	الصفحة
المؤلف	٥
المحقق	٧
لمحة جغرافية	٩
لمحة تاريخية	١٣
مقدمة المؤلف	٢١
الأمير محمد بن عائض	٢٥
ميلاده	٢٧
لمحة من حياة والده	٢٧
إمارة محمد بن عائض	٣٦



كان محباً للإطلاع مشاركاً في الكثير من
 فنون الأدب ، وقد حظيت الصحافة السعودية
 بالوفير من إنتاجه في البحث والتحقيق والشعر،
 كما كان مناضلاً بقلمه عن البلاد والوقود عن
 حياضها ، واختير ممثلاً لمنطقة عسير في مؤتمر
 أدباء المملكة ونال الميدالية التقديرية ، كما
 انتخب رئيساً لنادي أبها الأدبي ، ويعكف الآن
 لوضع تاريخ شامل عن المنطقة .



عبد الله بن علي بن حميد